اللمع

من خطب الجمع

«المجموعة السابعة»

فضيلة الشيخ

عبدالله بن صالح القصيِّر

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيد الأولين والآخرين؛ فهذه هي المجموعة السابعة من "اللمع في خطب الجمع" أقدمها لإخواني في الله من طلبة العلم ومحبي الخير، مشتملة على تذكرة وعظة في موضوعات مهمة، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها كما نفع بما قبلها، وأن يجعلها خالصة لوجهه.

الفهرست

الخطبة	الصفحة
مقدمة	٢
الفهرست	٣
معالم من فساد أوضاع أهل هذا الزمان (١)	٥
معالم من فساد أوضاع أهل هذا الزمان (٢)	١٠
الحض على المحافظة على العمل	١١
تذكرة بشأن الجرأة على الذنوب ومعصية علام الغيوب	١٣
حقيقة العبادة ومقامات العبودية	١٦
حقيقة المعصية وشؤمها على المعاصي ومن علم بها	١٩
مقتضيات التقوى وأنموذج من خصالها	٢٢
البركة حقيقتها وثمرها والأعيان التي تكون فيها	٢٤
في التقوى والحرص على ما ينفع في الأولى والأخرى	٢٦
تذكرة أولي النهى بشأن التقوى	٢٩
في استقبال رمضان ومنهاج العمل فيه	٣١
في خصائص شهر رمضان	٣٣
شرف الأيام المعلومات والمعدودات واغتنامها بالأعمال الصالحات	٣٦
معالم الاغتباط بشهر رمضان	٤٠
إرشادات لصوام رمضان	٤٢

الوصية بالاستمرار على العمل الصالح بعد رمضان	٤٤
من نعم الله على أهل الإسلام بشهر الصيام	٤٧
مهمات من جلائل الأعمال في رمضان	٤٩
عشر ذي الحجة شرفها وما ينبغي فيها	٥١
هدايات الكتاب والسنة ومنهاج سلف الأمة إلى ما يصلح الأمة ويحفظ لها العزة والكرامة	٥٤
معالم العبودية وبراهين التقوى	٥٨
آثار الأعمال الصالحة على العاملين في الدنيا ويوم الدين.	٦١
التذكير بنعم متعددة وفي كل يوم متجددة	٦٤
الحض على التعبد لله والتعامل مع خلقه وفق مقياس الشرع	٦٧
فضل الخلوة مع النفس وكريم ثمراتها	٦٩
وجوب الاشتغال بصالح العمل وترك الغرور والأمل	٧١

معالم من فساد أوضاع أهل هذا الزمان (١)

الحمد لله حمداً كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب أن يحمد وينبغي له.

أحمده سبحانه بما حمد به نفسه في محكم تنزيله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في إلهيته وعبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه وخلقه وتدبيره، ولا سمي له في أسمائه ولا مثل له في صفاته.

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله المبعوث من ربه بالبلاغ والبيان، والمأمور بجهاد أهل الباطل بالقرآن والسنان.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه المثنى عليهم في الذكر الحكيم بأنهم قوم {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله كما وصاكم، وأذكروه على ما أولاكم، وأشكروه على ما هداكم، فإنه من اتقى الله وقاه، ومن ذكره ذكره وهداه، ومن شكره زاده واجتباه، وأتاه حسنة في دنياه، وأصلحه في آخراه قال تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}.

عباد الله: قال تعالى {اقترب لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ}.

حقا لقد اقترب الحساب، وآذنت الدنيا بالذهاب فمن معالم ذلك أن كل حي ينتظر أجله، وهو مغيب عنه لا يأتيه إلا فجأة، وعلى حين غفله، وأحرص ما يكون الإنسان على الحياة، وأكثر ما يكون أشد تعلقا بها عند الممات، ومن حضره الأجل، ارتحل وحيل بينه وبين العمل وما خطط له من الأمل، فدنا حسابه وانقطعت أسبابه قال تعالى {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ} الآية.

{وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} ومن مات فقد واجه الحساب وأشفي على الثواب أو العقاب.

أيها الناس: حقا لقد اقترب حساب وعقاب العصاة المجرمين، على ظلمهم وبطشهم وتمتعهم وأكلهم كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم، فهم في عدٍ تنازلي يفني أعمارهم ويقضي آجالهم

ويدنيهم من موعد مصرعهم {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}.

وقال تعالى {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} وقال سبحانه {وتلك الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا}.

أيها المسلمون: من معالم اقتراب الحساب طغيان قوى الكفر المستعمرة المتجبرة التي غزت الشعوب الضعيفة فنهبت ثرواتها وقسطت عليها أقواتها، وفرضت عليها إرادتها ومفاهيم إلحادها وضلالاتها حتى حاربت دين الله الإسلام الحق علنا، وتواطأت على مناصرة والدفاع عمن نال رسول الله صلى الله عليه وسلم سفها واستأجرت الرويبضات من بني جلدتنا لتشكك في أصول ملتنا وأحكام شريعتنا ومكارم أخلاقنا حتى دخلت هجمتهم في أخص خصائصنا بعد ديننا في إغراء محارمنا وأولادنا في الترمد علينا فاللهم نصرك بإنزال بأسك بهم وبأسيادهم فإنك عزيز ذو انتقام وإن بأسك لا يرد عن القوم المجرمين، وإنك لا تخلف الميعاد، فإن تخلفنا عن نصرك لضعفنا فأرحم ضعفنا واحفظ علينا دينك الذي مننت به علينا آمين يا منزل الكتاب وولي الصالحين.

أيها المسلمون: حقا لقد اقترب للناس حسابهم وآذنت دنياهم بالذهاب عنهم والإفضاء بهم إلى خالقهم {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ} لقد ظهر جملة من أشراط ساعة الكون واقتراب نهايته فمن أولها بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وما أخبر به عليه الصلاة والسلام من علامات الساعة الصغرى ونبوءاته صلى الله عليه وسلم عما سيكون في مستقبل الزمان من الحوادث الكونية والفتن الأممية فقد تحققت جملة منها من العلامات الصغرى وبعض الوسطى ولم يبقى إلا أشراط الساعة الكبرى وهي تقع في زمن متقارب فما أن تحدث أية إلا وأخواتها يتبعنها كالخرز في الخيط إذا انقطع ما أن تقع منه واحدة حتى تتلوها أخواتها بالتتابع.

معشر المسلمين: حقا لقد اقترب الحساب وأذنت الدنيا بالذهاب، ودنى الظلمة من موعد العقاب ومن معالم ذلك فساد كثير من أوضاع الناس حيث استهان كثير من الناس بصغائر الذنوب وجاهروا بارتكاب الكبائر الموبقة من معاصي، علام لغيوب فقلت الغيرة على حرمات الله تعالى، وقطع الكثيرون الأرحام، وضعفت موالات المؤمنين ومعادات الكافرين من كثير ممن ينتسب إلى

الدين ويعد نفسه من المسلمين حتى ظهر الشرك، وضيعت الصلوات، وظهرت في جملة من المجتمعات الإسلامية أوكار الزنا ومواخير الخمور، وحكمت القوانين الوضعية والأعراف العشائرية، وضيعت الأمانة ومرجت العهود،،وخون الأمناء وائتمن الخوان وتبرجت النسا، وصار كثيرون من الناس في خفة الطير وأحلام السباع، وظهر الدجل أي الكذب، وكثر الهرج أي القتل بغير حق.

أيها المؤمنون: من معالم اقتراب يوم الحساب ودنو العقاب نطق الرويبضات أي الأراذل والتافهون فتكلموا في قضايا الأمة المصيرية وحتى استأنث بعض الذكور – لا الرجال – فتحدثوا عن المرأة مطالبين بزعمهم بفكها من أسرها منطلقين من ثقافات أجنبية ومفاهيم الحادية كفرية، وغايات شهوانية بهيمية مدعومين من قوى أجنبية ظاهرة وخفية وجعلوا من توجههم الإجرامي المأفون الفتان قضية من قضايا الأمة المصيرية، حتى صوروا للمرأة الساذجة والولي المغفل، أن استقامة المرأة على دينها، وصيانتها لشرفها، وقيامها بوظيفتها نحو زوجها وبيتها وتربيتها أولادها في بيتها وبعدها عن مواطن الريب والشبهات مما يعطل الأمة عن التقدم، ويؤخرها عن ركب الأمم، ويحول بين المجتمع وبين سباق الحضارات، وزينوا لها أن مفارقتها لعشها الأمين، وخلطتها لسباع الأدميين، وعملها حتى في المهن الخشنة، وفي التجمعات الهابطة المتدنية – غالبا – معرفيا وسلوكيا هو عنوان التطور ومظهر العزة والتحرر حتى ترجلت النساء، وخرجن عن الفطرة والشريعة والحياء، وضيعن حقوق الزوجية، وأمانة الرعاية البيتية، وتركنها للخادمات الجامعات غالبا – بين الجهل والغش والسحر وحسد المرأة على زوجها ومملكتها، والكيد لها بحضرتها وحال غيبتها، فما أعظم البلية وأكبر المصيبة التي ابتليت بها الأمة وتضررت بها النسوة من شؤم هؤلاء المجددينات، والغثاء من الرويبضات والطابور الخامس الخادم لصهاينة اليهود، والحزب اليميني المتطرف من ملاحدة النصارى، والمنافقين من ليبرالي الأمة المفسدين الذين يسمون إفسادهم إصلاحا {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ}.

أيها المسلمون: ومن آيات ومعالم اقتراب الحساب وإيذان الدنيا بالذهاب، تلكم التمويلات التي تقوم بها مؤسسات مالية تمول بها بعض الناس في الحاجيات الضرورية من مسكن وأثاث ومركب وهي تمويلات مخالفة للشريعة الإسلامية إما لكون عقودها مخالفة لعقد البيع الشرعي لكونها مترددة بين عقد بيع وعقد إجارة أو لاشتمالها على شرط ينافي مضمون العقد حيث ينص فيها على أن السلعة المباعة في ملك البائع حتى نهاية استيفاء ثمن المبيع أو شرط على أن الربح للبائع والغرم على

المشتري مدة إجراء العقد، أو لاشتمالها على ربا أو جهالة أو غرر أو شرط منفعة تضاف إلى الثمن ومع ذلك توصف بأنها شرعية وقد تؤخذ عليها فتوى من لجنة شرعية والفتوى لا تجاوز الورق إلى تطبيقات العقود ومراعات ما يترتب عليها من الزامات أو التزامات مخالفة لصورة الفتوى التي لا تعدو أن تكون دعاية إغرائية أو شباك يصطاد به البسطاء من العامة لتلك التمويلات المشبوهة من مؤسسات جشعة أخذت من الربا اليهودي منطلقا لثرائها الفاحش، ونزعتها الخالية من الرحمة بالمضطر لأنها لا تدخل إلا فيما تضمن فيه ربحها ناسية ما صح به الخبر من قول خير البشر صلى الله عليه وسلم ما بقي الدهر: إن الربا وإن كثر فعاقبته إلى قله، وقوله «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» وفي الحديث الآخر «يقول الله تبارك وتعالى «وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»».

معشر المسلمين: ومن آيات اقتراب الحساب وإيذان الدنيا بالذهاب ظهور دعاة الفتنة والمتاجرون بكثرة الأتباع من الجماهير لأن أولئك الدعاة الذين يستجلبونهم بلبس يلبسون الحق بالباطل وتميع الدين وليشترون بآيات الله ثمنا قليلا فيغرونهم بالغوغائية بمسمى التعبير امتداداً لما يسمى بالربيع العربي – وحقيقته الربيع الغربي – تارة بنقد سياسات الحكام أو الحكومات وأخرى بإظهار وتشهير تصرفات اجتماعية غوغائية، وثالثة بزعم ارتفاع معدل الجريمة أو البطالة أو الفقر ناسبين ذلك إلى تقتير الدولة، أو سوء السياسات المالية، ناسين أن من أعظم اسباب ذلك زيادة النمو السكاني، وتعطيل أسباب الرزق، أو الأنانية والاتكالية على كفالة الأولياء وكرم المرؤة من أهل الإباء فتجدون دعاة هذه الفتنة يتاجرون بعواطف الناس، ويضخمون الأمور فيجعلون من الحبة قبة ليوجهوا ذلك لحساباتهم الجماهيرية التي يساومون بها من الحكام أو يستعطفون أعداء الإسلام أو يخشون تسلطهم ليأخذوا مقابلها دعما ماديا أو اعتبارا معنوياً وذلكم توجه بائس يجمع بين النفاق والاشتراء بآيات الله ثمنا قليلا ولذلكم تجدون هؤلاء يجمعون بين الكذب على الله بلي أعناق النصوص حتى يظهروا لمن يخاطبونهم أنها تدل على ما يدعون إليه وأنها علامة على فقههم لواقع وطموحات الأمة الذي عرفوه وغفل عنه العلماء الأكابر ومراجع الفتيا الذين قد يطلقون عليهم وصف العلماء التقليديون أو علماء الحيض والنفاس، أو علماء السلطة وما درى أولئك المفتونون الإصلاحيون فيما يزعمون أنهم هم سعاة الفتنة والإفساد، والشؤم على الناس وأنهم معشوقون مغازلون أو مستغلون، من قبل القوى المعادية الأجنبية لولعهم بالبريق الإعلامي والزخم الجماهيري والمنهاج الخارجي الاعتزالي في نصيحة الأئمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يزعمون

أنهم يقومون به نحو الأمة وليس ببعيد أن يكونوا داخلين تحت طائلة قول الحق تبارك وتعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا}. وآية ذلك دعواتهم إلى الطرائق الكفرية من الدستورية والديموقراطية والحرية الجماهيرية وتنكرهم لما عليه سلف صالح الأمة المحمدية ألا فاتقوا الله أيها المؤمنون – واستعدوا لحسابكم، وقدموا خيراً لأنفسكم قبل وفاتكم، وخذوا حذركم من بعض بني جلدتكم كما تأخذونه من أعدائكم، واعرفوا الناس بموافقة الحق، لا بالشهرة وكثرة الأتباع من الخلق، فإن مدعي النبوة والدجالين ودعاءة الكفر والشرك والإلحاد هم أكثر الناس أتباعا وإن الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم من العلماء ورثة الأنبياء هم أقل الناس أتباعا فإن الحق ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وإن الباطل ما خالف هديه وعمل السلف الصالح ألا فاتقوا الله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

معالم من فساد أوضاع أهل هذا الزمان (٢)

الحمد لله الذي مرد الخلق إليه، وحسابهم عليه، وجزاؤهم لديه، أحمده سبحانه لا أحصي ثناءاً عليه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا سمي ولا مثل له، ولا ند له.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ومصطفاه وخليله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه خير الأمة في إتباعه والسير على سبيله.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله حق التقوى، وأطيعوه فإن طاعته أقوم وأقوى، واستعدوا ليوم الحساب قبل طي الكتاب، وغلق الباب، ومواجهة الثواب، أو العقاب فإن كل آت قريب، وإن البعيد ما ليس بآت.

معشر المؤمنين: من آيات اقتراب الحساب وإيذان الدنيا بالذهاب، ذلكم التعامل الأخلاقي الدني الذي يحدث من بعض الناس إذا اختلف مع آخر إذا خالفه في هواه، أو أخذ شيئا متأولا من دنياه، فتجد ذلك الذي يكون مظلوما حقيقة أو ظنا، ينسى أن خصمه أو مخالفه أخ له في الإسلام وقد يكون مع ذلك أخاً من النسب أو جاراً له فهو منه في غاية القرب، وفي خضم هذا النسيان والتحامل من أجل أهواء النفوس أو حظوظ الدنيا يغتاب خصمه كثيرا حتى قد يربو ظلمة بعيبته على ظلم خصه من أجل مخالفته أو شيء من حطام دنياه، فيظلمه بالغيبة ويزيد عليه في شدة البهت والوقيعة في العرض حتى يزيد على الظلم في موجب الاختلاف أضعافا مضاعفة، أو الكافر، وينسى لتلاعب الشيطان بدينه وعقله كل فضيلة أو معروف أو مكانة أو حق لمن يسميه ظالمة، وقد يهجره بجميع أنواع الهجر، فإن لقيه لا يسلم عليه، وإن مرض لم يعده، وإن مات لم يصلي عليه ويتبعه، وإن ذكر عنده بخير غضب وهجر من يشهد له بالخير مع أن هجر المسلم فوق ثلاثة أيام منكر بالسنة الصحيحة وهجره سنة كقتله، وحرمة عرضه كحرمة دمه فكل تلك الصور من جفاء التعامل، وأنواع القطيعة والهجر، والبهت والنيل من العرض، وجحد القصل قد دلت نصوص الكتاب والسنة على أنها كبائر محققة، وجرائم مهلكة موبقة تنقص الدين، وتأكل الحسنات، وتحمل الجاني بها ما لا قبل له به من السيئات، وتذهب المروءة، وتسبب الفتنة، وتحول دون النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، وتجعل المبتلى بها فريسة للشيطان وقد تصليه الدركات السفلى من النيران.

معشر المسلمين: صلوا على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم فإنه لا خير إلا دلكم عليه ورغبكم فيه وكان أسوتكم في المبادرة والسبق إليه، ولا شر إلا نبهكم عليه ونهاكم وزجركم عنه، وكان صلى الله عليه وسلم أبعدكم منه فإن الله تعالى قد قال قولا كريما {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

الحض على المحافظة على العمل

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله ذا العظمة والجلال، وحافظوا على ما هداكم له من صالح الأعمال فإن العمل الصالح جزء مسمى الإيمان والبرهان الدال عليه في كل آن وهو من مادة بقائه وقوته وإخلاصه، فلا إيمان لمن لا عمل له، ولا ثواب لمن لا إيمان له، ولا سعادة في الدنيا والآخرة لمن لم يحمله علمه على العمل، بل حمله على معصية الله عز وجل قال تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وقال سبحانه {أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وقال جل ذكره {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وقال تبارك اسمه {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} وأخبر جل ذكره عن اغتباطهم بما هداهم الله تبارك وتعالى له من الإيمان الحق والعمل الصالح الذي أحلهم الجنة قائلين {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}.

عباد الله: إن المحافظة على الإيمان من النقص والزوال، لا تكون إلا بالمحافظة على العمل من النقص أو الانقطاع أو البطلان وأسباب الخسران، فإن العمل ينقص بترك بعض الواجب أو سوء الأداء، وينقطع بهجره وتركه عمدا ويبطل بالشرك والردة، والاستهزاء والسخرية والمن به على الله تعالى والتألي عليه، ويذهب أجره بفعل السيئات اللاتي يأكلن الحسنات وبالحسد ونحوه من ظلم البريات، كالغيبة والنميمة والزنا والقتل فإن هذه الجرائم تغبن المجرمين بها يوم القيامة بذهاب حسناتهم للمظلومين، أو إضافة شيء من سيئات المجني عليهم لموازين الظالمين.

أيها المسلمون: إن المحافظة على الأعمال لا تتحقق إلا بلزوم واجب الطاعة وحسن أدائها وتكميلها بما شرع الله تعالى من الذكر والاستغفار حال الانفراد أو مع الجماعة، فإن دوام الطاعة وحسن الأداء وتكميله بالذكر والاستغفار الذي يجبر النقص ويسد الخلل، ويحبب العامل إلى الله عز وجل قال تعالى {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} وقال سبحانه {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} وقال سبحانه {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} وقال سبحانه {فَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ} ومن الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله كتب الإحسان على كل شيء وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل» وكان عمله صلى الله عليه وسلم ديمه، وكان صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملا أثبته» ومن معنى ذلك المداومة عليه.

معشر المسلمين: كذلكم فإن من المحافظة على العمل الصالح قضاء ما فات منه نسيانا أو تفريطا قال صلى الله عليه وسلم «فما أدركتم فصلوا، ما فاتكم فاقضوا» وقال عليه الصلاة والسلام «من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك» وقد تواتر في الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وجوب قضاء فوائت الصلاة والزكاة والصوم والحج، وقضاء النذر والكفارات والديون ونحوها مما يتعلق بذمة المكلف، فمنها ما يجب ويصح قضاؤه من المرء في حياته، ومنها ما يقضى عنه حتى بعيد وفاته، فشيء يقضيه الورثة بأبدانهم كالصوم، وشيء يقضى من تركته تبرءة لذمته قبل قسمتها بين ورثته كالزكاة والحج والوصية بما هو من الثلث فأقل.

أيها المؤمنون: كذلكم فإن من المحافظة على الأعمال، قضاء النوافل التي يعتادها المرء من الصلاة والصوم والصدقة والأذكار ونحوها مما ثبت بالسنة الصحيحة قضاؤه وهو من أسباب تثبيت الإيمان وزيادته، وصلاح قلب العبد وعلو درجته وحسن صلة العبد بربه وطلب الزيادة من فضله، فاتقوا الله أيها المؤمنون وحافظوا على أعمالكم، وكملوا فرائضها من نافلتها تربح تجارتكم وأشكروا لله تبارك وتعالى على التيسير، وعلى ما تفضل به عليكم من الأجر الكبير، وتيسر أسباب محو الخطايا واستدراك التقصير، واستقيموا مؤدين للأعمال على أصل المشروعية مخلصين لله تعالى في القصد والنية متبعين لنبيكم صلى الله عليه وسلم في الأداء والكيفية أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٦٨) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا}.

تذكرة بشأن الجرأة على الذنوب ومعصية علام الغيوب

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة الطيبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الملك الحق المبين، الذي يقضي بالحق وهو السميع العليم.

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله المصطفى ورسوله المجتبى الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين يقولون بالحق وبه يعدلون، والذين هم خيرة المكلفين بعد المرسلين والنبيين وأول الأمم دخولا الجنة بخبر الصادق الأمين لكمال توحيدهم وإخلاصهم لرب العالمين، وحسن تأسيهم بالرسول المبين وبراءتهم من الكافرين والمشركين والمبتدعين.

أما بعد:

فيا أيها الناس اتقوا الله، واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون.

عباد الله: كل مؤمن بالله يعلم يقينا أنه مطلوب من الله طلبا، وأن مرده ومصيره إليه شاء أم أبى، فلن يفرضه ولن يعجزه هربا، ومع ذلك فهو فقير إلى الله بالذات، ومبصر منه سبحانه في جميع الحالات والأوقات وكيف يستغني عن الله تعالى من هو محتاج إليه ضرورة في كل نبضة قلب وتردد نفس، وطرفة عين، وجنود ربك محيطة به من جميع جهاته، ومن ألطف تلك الجنود الماء من تحت أقدامه، ومن فوق رأسه ومن كل جهة وقد هلكت به قوم نوح، وفرعون وملؤه، ولا تزال الفئام والأفراد تهلك به في كل عصر ومصر، تارة يفيض عليهم البحر، وأخرى ينهمر عليهم السحاب، وثالثة يتساقط عليهم الجليد، ودون ذلك أن يَشْرَق به الشارب بالماء فيجود بنفسه في لحظة، وكم لله من جنود هي أشد وأعتى من الماء، وما يعلم جنود ربك إلا هو، والله من ورائهم محيط {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}.

أيها المسلمون: كيف يتجرأ مؤمن عاقل عالم على معصية الله تعالى – بترك واجب يستطيعه أو فعل منهي عنه يعلمه، وهو يؤمن بعظمة الله ونفاذ مشيئته، وقوة الله وعظم سطوته، وشدة بطشه وأليم أخذه وقد حذر الله الناس من نفسه وانتقامه قال تعالى {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} وقال سبحانه

{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} وقال جل ذكره {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}.

وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ}» فلا يتصور أن يقدم مؤمن عاقل عالم على معصية جبار السموات والأرض الغيور على حرماته أن تنتهك وحمى الله محارمه فإذا انتهكت محارمه أسف – أي غضب غضبا شديدا – ثم انتقم ممن عصاه قال تعالى {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ}.

ولذا قال ابن عباس رضي الله عنها: ما عصي الله إلا بجهل «يعني في حال جهالة بالحكم، أو هوى أضل العقل فأنساه العلم، فارتكب ما ارتكب من الجرم والإثم ».

أيها المسلمون: اعرضوا أقوالكم ونياتكم، وأعمالكم وأحوالكم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لتجلى مخالفتكم للكتاب والسنة في كثير من الأمور، وأن تلك المخالفات معاصي حقيقة، تعرض مرتكبها للعقوبة في الحياة الدنيا أو في البرزخ أو يوم الحشر والنشور، وخصوصا أن جملة منها معاصي ظاهرة ففيها نوع مجاهرة وقد قال صلى الله عليه وسلم كل أمتي معافى إلا المجاهرين «يعني المظهرين للمخالفة لما فيه من الجرأة على المخالفة، وسوء السنة والقدوة فكيف إذا استمرأ العبد المخالفة وزين له سوء عمله حتى صارت المخالفة للقرآن والسنة».

أمة الإيمان: ومن شؤم هذه المخالفات الظاهرة أن أهلها يبتلون جزءاً من شخصية المخالف ومظهره بحيث يحلي بها – بزعمه – هيئته ويحافظ على زيه فيضم إلى المعصية والمجاهرة بها، الإصرار عليها واعتبارها زينة يتزين بها، وهو يعلم يقينا أنه مخالف لكتاب الله تعال وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فيكون الإثم مضاعفا عدة مرات من جهة أنها مخالفة، ومن جهة أنها ظاهرة، ومن جهة الإصرار عليها، ومن جهة التزين بها وتغيير خلق الله ومراده الديني الشرعي قال تعالى في صفة المتقين {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} وقال في صفة أصحاب الشمال المترفين {وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ} وقال جل ذكره متوعدا من استحسن مخالفة الشرع {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} والمعنى أتركهم بعد أن بينت لهم ووعظتهم فمردهم إلى الله وجزائهم

عنده وقال تعالى {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} وقال تعالى {ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}.

حقيقة العبادة ومقامات العبودية

الحمد لله على هداه.

أحمده سبحانه على سابغ فضله ومترادف وجليل نعماه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فلا معبود بحق سواه.

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله خير من عبد الله واعتصم بربه من الفتن والشر فعصمه الله وحماه.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن أستن بسنته ونهج نهجه إلى يوم لقاه.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله ما استطعتم، وحققوا الأمر الذي له خلقتم، ومن أجله رزقتم فإنكم لم تخلقوا عبثا، ولم تتركوا سدى وإنما خلقتم ورزقتم من أجل عبادة الله وستسألون عنها غداً بين يدي الله، قال تعالى {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} وقال سبحانه {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} وقال جل ذكره {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وقال تعالى {فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ}.

عباد الله: العبادة من حيث أنها صفة للعابدين هي أن تحبوا الله تعالى وتعظموه، وتخافوه سبحانه في السر والعلن وتجلوه، وتنقادوا له بامتثال أمره حباً أو رغبة، وترك ما نهى عنه رعبا ورهبة، فتفعلوا الطاعة حبا ورغبة وتتركوا المعصية خشية ورهبة قال تعالى مخبراً عن صالحي عباده {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا} وقال تعالى عن مؤمني الجن أنهم قالوا {وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا}.

أيها الناس: وأما العبادة من حيث ما يتعبد به لرب العالمين فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من نيات وأعمال القلوب، وأقوال الألسن، وأفعال الجوارح، وترك ما لا يحبه ولا يرضاه من هذه الأمور تعظيما وإجلالاً لعلام الغيوب. فحقيقتها التعبد لله تعالى بما شرع، واجتناب الشرك وكبائر الذنوب والبدع، فلا يكون العمل فعلا أو تركاً عبادة، إلا إذا كان على وفق الكتاب والسنة في الأصل والمشروعية وابتغى به وجه الله سبحانه من حيث القصد والنية، وكان على هدي النبي صلى الله عليه وسلم في طريقة الأداء والكيفية.

أيها المسلمون: وما من مقام وحال يكون فيها العبد – منذ يقظته من منامه إلى نومه بعد تلكم اليقظة إلا ولله تعالى عليه عبودية بالفعل أو الترك هي حق الله عليه في ذلك المقام وتلكم الحال فليتذكر العبد هذا الحق العظيم، وليبادر إلى أدائه إلى مستحقه سبحانه طلبا للأجر العظيم وحذراً من العذاب الأليم وطمعا في رضوان الرب الكريم فإنه مسؤول عن مقامه وحق الله تعالى عليه فيه فإن رأى إشراكا بالله تعالى فحق الله تعالى عليه أن يوحده بتعظيمه في القلب وإفراده بالثناء والذكر والدعاء وأن يبرأ من الشرك والمشركين، وأن ينهى عن الشرك بالله تعالى، ويدعو إلى إخلاصه سبحانه بطلب جلب النفع ودفع الضر فإنه تعالى المالك لذلك، المستحق للتوحيد بجميع أنواعه ومن أشرك به فهو الخاسر الهالك، فإن قبل منه وإلا فليبيء عن موطن الشرك ومن أشرك {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ } {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ }.

معشر المسلمين: ومن سمع النداء بالصلاة في الوقت فحق الله تعالى عليه أن يتطهر كما أمر وأن يصلي كما أمر فيركع مع الراكعين ولا يكون من الذين إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فيتشبه بإبليس اللعين ولا يتشبه باللذين إذا نودوا إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون.

معشر المسلمين:

وهكذا من استقر في ماله مقدار زكوي فحق الله عليه أن يخرجه إلى مستحقه طاعة لله تعالى وشكرا له على غناه ورزقه ومثله من شهد شهر الصوم وهو صحيح قادر سالم من الموانع فعليه الصوم إلا إن كان ممن رخص له في الفطر فله الفطر والقضاء بعدة من أيام أخر.

أيها المؤمنون: وهكذا من عرض عليه المال الحرام من ربا أو رشوة أو غلول من بيت المال أو سرقة أو نهبة أو نحو ذلك من فنون الاحتيال فعبودية الله تعالى وحقه عليه في تلكم الحال وذلكم المقام أن يرفض العرض فهو الفرض فإنه من ترك شيئا لله عوضه الله خيراً منه وبارك له فيه وأعناه عنه ومن أخذ مالا حراما فقد أقسم النبي صلى الله عليه وسلم على أنه إن أنفقه لم يبارك له فيه، وإن تصدق به لم يتقبل منه، وإن دعى وهو في جوفه لم يستجب له وإن مات وتركه وراء ظهره كان زاده إلى النار، وقال: «أيما لحم نبت من سحت فالنار أولى به».

معشر المؤمنين: وهكذا من ابتلي في مكان أو زمان يغرى فيه باللغو واللهو من غيبة أو أغاني أو مزامير فإن عبادة الله وحقه عليه أن يعرض مترسما نهج المؤمنين عباد الرحمن الموصفين في قول الحق في

محكم البيان {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ } {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ } {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا } فلا يصغون إليه ولا يتدنسون به ولا يشهدون عرضه بل ينأون عنه ويحذرون منه، وينهون عنه.

أمة الإيمان: وهكذا من ابتلي بدعايات الفواحش وفنون عرضها والإغراء بها ومواطنها فإن حق الله عليه أن يغظ الطرف ويعرض ويهرب ويعتصم بالله قائلا {مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } وهكذا المجالس التي يبيت فيها الكيد للإسلام وأهله وتحاك فيها أسباب الفتن وتفتح أبواب الشر على الأمة فإن حق الله تعالى على من ابتلي بها أن يفر منها ويبلغ عنها ويحذر أئمة المسلمين وعامتهم مما يكيد بها ويحيك مؤامراتها كما فعل الصحابة رضي الله عنهم مع المنافقين فعصمهم الله ووقاهم من شر الفتنة في الدين، وكف بهم شر المنافقين عن المسلمين فاتقوا الله أمة الإسلام والإيمان وتذكروا عبودية الله تبارك وتعالى عليكم في سائر المقامات وحققوها مخلصين لله تعالى في المقاصد والنيات موافقين للشرع المطهر في الأداء والكيفيات، تحققوا العبادة، وتحصلوا الحسنى والزيادة ولا يرهق وجوهكم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٦٨) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا}.

حقيقة المعصية وشؤمها على المعاصي ومن علم بها

الحمد لله يتولى من أمن به واتقاه، فيثيبه بجنته ورضاه، ومن أعرض عن ذكره ولاه ما تولاه ففسق عن أمر ربه فكانت جهنم مثواه، ومن عصاه استحق عقوبته بمعصيته وما ظلمه الله فمن يعمل سوءاً يجز به إلا أن يناله عفو من الله أحمده سبحانه على عدله وحكمته فيمن عذبه بمعصيته وعلى فضله ورحمته على من وفقه لطاعته، فهو سبحانه محمود على كل ما قدره وقضاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له {سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ}.

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله الذي حذر أمته من عذاب شديد، وأخبر أن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم خير الأمة وأشدها حبا لله وأعظمها خشية لله وخوفا من الله، وأصبرها على الطاعة وعن المعصية وعلى الأقدار المؤلمة لكمال علمهم وطاعتهم وتعظيمهم لله، فكانوا بشرع الله عاملين وبقدره مؤمنين وبنبيهم صلى الله عليه وسلم متأسين، ومن أهواء النفوس وخطوات الشيطان، وعمل الجاهلين حذرين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

أيها الناس: اتقوا الله ما استطعتم كما وصيتم، واستقيموا له على دينه كما أمرتم، واستغفروه وتوبوا إليه من كل مخالفة علمتم، ولا تصروا على الحنث العظيم وتتبعوا ما فيه أترفتم، فإن المعصية وإن الإثم غرم، وإن الإصرار على المخالفة مع العلم بأنها معصية شؤم ذلكم لأن المخالفة عن علم وعمد وذكر وقصد معصية لله ورسوله تنافي الإيمان أو تنقص كماله، وتكون غلا في عنق صاحبها إلا أن يتجلل عفو الله وإفضاله قال تعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} فمن اختار لنفسه غير ما اختار الله ورسوله له شرعا فقد عصى وضل، واستوجب العقوبة إذ زل إلا أن يتداركه الله برحمة

منه وفضل وقد قال تعالى {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} وقال سبحانه {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}.

أيها المسلمون: ما أحوجنا في كل آن إلى أن نعرض أقوالنا ومقاصدنا وأعمالنا وأحوالنا على كتاب الله الذي أنزل هدى لنا، وسنة رسوله إمامنا وإسوتنا حتى يتبين لنا ما امتثلنا فيه الشرع فنحمد الله على توفيقه ونسير على سنة نبينا صلى الله عليه وسلم وطريقه، ونكون أسوة صالحة لمن حولنا من الخليقة ونتنبه لما خالفنا فيه الكتاب والسنة، فنرجع إلى الصواب، ونتوب إلى الله تعالى من الخطيئة والله تعالى يغفر لمن استغفر وتاب قال تعالى {لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} وقال سبحانه {وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.

معشر المسلمين: إن حقيقة المعصية هي معاكسة الكتاب والسنة بترك المأمور به مع الاستطاعة وفعل المنهي عنه حال الانفراد أو في الجماعة وإنه ما من معصية إلا ولها عقوبة شرعية كالحدود والتعزيرات، أو قدرية عامة كالطوفان والزلازل والخسوف، والأوبئة والحروب المهلكة للحرث والنسل أو شخصية كالهم والحزن وضيق المعيشة والمصائب الفردية فإن النصب والتعب والسقم مما يعاقب به أفراد العصاة وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه. فلكل ذنب لم يتب منه عقوبة فمن عوقب في الدنيا فهي كفارة وطهور ومن ستر وعوفي من العقوبة في الدنيا ومعصيته دون الكفر – أي لا تنافي أصلا من أصول الإيمان فمرده إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفى عنه، فأخطر ما يكون من الذنوب تلك التي تنافي أصل الإيمان كالشرك الأكبر بدعاء غير الله وعبادة أحد معه أو من دونه الاستهزاء وسب الله ورسوله واستحلال شيء معلوم التحريم من الدين بالضرورة، وجحد شريعة من الشرائع أو عيبها والاستخفاف بها أو الدعاء أنها ليست من دين الله تعالى ولا من هدي رسوله صلى الله عليه وسلم.

أيها المؤمنون: ومن المعاصي الكبيرة والذنوب الخطيرة التي يستخف بها الكثيرون.. مظالم الناس بالتعدي على دمائهم أو أعراضهم أو أموالهم أو غير ذلك من حرماتهم فإن تلكم معاصٍ إذا لم يستحل أهلها في الدنيا وترد إليهم فإن الظالم بشيء منها لا بد أن يعاقب بها ويقتص لأهلها منه إلا أن يغفر له أهلها يوم القيامة وما أبعد ذلك {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} ويوم {يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (١٦) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى}.

معشر المؤمنين: فكيف يتهاون عاقل مؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر من معصية لربه أو مظلمة منه لغيره في وقت الإمكان، ثم يطمع أن ينجو من تبعتها يوم الخصومة بين يدي الملك الحكم الديان.

معشر المؤمنين: ومن الذنوب الكبيرة والمعاصي الخطيرة التي يرتكبها ويستهين بها بعض الناس مخالفات للكتاب والسنة ظاهرة، قد يضاعف الإثم والعقوبة عليها مرتين، واحدة للمعصية سيئة وأخرى للمجاهرة وربما ثالثة لكونه سن في الإسلام سنة وقد قال صلى الله عليه وسلم كل أمتي معافى إلا المجاهرين» لأن المخالف مخالفة ظاهرة يسن في الإسلام سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها مقتديا به فتكون العقوبة عليها من جهتين من جهة الجرأة على معصية الله ورسوله، ومن جهة إظهار المخالفة والمجاهرة بها فكأنه غير مبال بما توعد الله عليها من العقوبة، وهو في مجاهرته كأنه يضاد الكتاب والسنة بالدعوة فعلا وأسوة إلى مخالفتها.

أمة الإسلام والإيمان: ومن شؤم هذه المخالفات الظاهرة التي يبتلي بها بعض الناس أنها باعتيادها والتهاون بها تصبح جزءاً من شخصية المخالف ومظهره، بحيث يزين له الشيطان أنها تحلية لنفسه وجزء من هيئته تتحقق بها المحافظة على زيه ومظهره فيصبح بذلك من المصرين الآثمين فيأثم إضافة إلى إثم انتهاك حرمة الله والمجاهرة بها إثم الإصرار عليها واستحسانها وهذا من أعظم أسباب قسوة القلوب والإصرار على معاصي علام الغيوب والتسويف بالتوبة ثم لا يتوب من خطر الموت وهو على معصية حيل بينه وبين التوبة منها فإن من فاتته التوبة وقت الاختيار لا تقبل منه في حال الاضطرار أي بداية الترع ومقدمات الموت – قال تعالى {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}.

أمة الإيمان: أطيعوا ربكم علام الغيوب، واتقوا الذنوب، فإن غلبتم وعصيتم فتذكروا، أن الله تعالى تواب على من يتوب، فبادروا بالأوبة وانصحوا في التوبة ولا تسوفوا حتى تفاجئوا بالنقلة ثم لا تصح ولا تقبل التوبة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا} الآية.

مقتضيات التقوى وأنموذج من خصالها

أما بعد: فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى تبارك تعالى بفعل طاعته وترك معصيته والتوبة إليه من مخالفته عملا بشريعته وإتباعا لنبيه صلى الله عليه وسلم على منهاجه وسنته طمعا في كريم الثواب وحذراً من أليم العقاب فإن التقوى خير الزاد، وحلية العباد، وهي المنجية من النار المورثة للجنة يوم المعاد، فهي عنوان الأخيار، وفرقان بين أهل الجنة وأهل النار.

عباد الله: التقوى حق الله تعالى على العباد في كل حال ووقت، فهي أداء عبودية الله تعالى في الزمان والمكان و الحال، فإن أذن للصلاة فالتقوى التطهر والتوجه لأداء الصلاة، وإن تم حول المال الزكوي فالتقوى إخراج حق الله تعالى فيه، وإن دخل رمضان فالتقوى صيام نهاره إلا لمن رخص الله له، وإن تحققت الاستطاعة إلى الحج فالتقوى شد الرحل لأدائه.

أيها المسلمون: وكما تكون التقوى في تحقيق الطاعات في مختلف الأحوال والأمكنة والاوقات، فإنها كذلك تكون في اجتناب المنهيات والحذر من المخالفات فعند المرور باللغو فالتقوى الإعراض عنه، وإن حضرت الفتنة فالتقوى النأي عنها، وإن عرض المال الحرام من الربا والرشى وكل ما كسبه إثم فالتقوى تركه والزهادة فيه، ومن أعظم خصال التقوى مجانبة مجالسة أهل محرم الشهوات، والإعراض عن الإصغاء إلى شبهات ذوي الشبهات قال تعالى {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} وقال سبحانه {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ} وقال سبحانه {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}.

معشر المسلمين: ومن جليل خصال التقوى وجميل أفعال أولي النهى ترك الإصرار على الذنوب والتوبة عن قرب إلى علام الغيوب قال تعالى في معرض الثناء على المتقين: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}.

ولذا بشرهم الله تبارك وتعالى ممتنا عليهم بالتوفيق إلى أقوم الطريق والمخرج من موجب الحنث والضيق {أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}.

أيها المؤمنون: ولقد نبه ربنا جل وعلا على أن الإصرار على الذنوب والتسويف في التوبة من أمارات سوء الخاتمة عند مفارقة الدنيا وعلامات أولي الشقا قال تعالى {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} وقال سبحانه في معرض وعيد أصحاب الشمال {إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ} فالاستمرار على المعصية حتى يموت عليها صاحبها نذير بسوء الخاتمة ومانع من التوبة ومن لقي الله تعالى على معصية بعث عليها، ومن بعث على مخالفة كان خزيا له على رؤوس الأشهاد ونذارة بخسارته يوم التناد قال تعالى {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ} يعني من قبورهم {إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} أي يقومون في صورة الصرعى المجانين خزيا لهم يوم القيامة ثم مآلهم النار {وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله «يبعث كل عبد على ما مات عليه» وقد دلت الآيات المحكمات الصريحات والأحاديث الثابتة الصحيحات على أن من عصى الله تعالى بذنب لقيه به عذب بما عصى الله به يوم القيامة فمانع الزكاة يعذب بماله، وقاتل نفسه يعذب بما به قتل نفسه حتى يقضى بين الخلائق في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى بعد مصيره إلى الجنة أو إلى النار.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وانظروا ما به التقوى مما تفعلون أو تتركون ولا تغفلوا فإنه ليس بمغفول عنكم ولن تعجزوا ربكم في الأرض ولن تعجزوه هربا فلازموا التقوى واستمسكوا بالعروة الوثقى، واسألوا ربكم الثبات على الحق حتى ساعة اللقاء وأن تبعثوا على ما يحب ويرضى وختم له بها وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يبعث كل عبد على ما مات عليه» وأي مؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر يرضى بأن يختم له بمعصية أو أن يلقى الله مصرا على خطيئة عياذًا بالله من ذلك فيكون مجانبا لأهل الجنة والمغفرة الذين أثنى الله عليه بقوله { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} ويلفى متشبها بأصحاب الشمال الذين كانوا في الدنيا مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم نفعنا الله جميعا بهدي كتابه وجعلنا من أئمة أولي التقى أحبابه، وأعاذنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

البركة حقيقتها وثمرتها والأعيان التي تكون فيها

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله ربكم، واطلبوا بركته جهدكم، واخلصوا له في نيتكم وقصدكم، واستقيموا على شريعته ظاهرا وباطنا تنالوا بركته، وتحصلوا مثوبته، وتتقوا عقوبته {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتقوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

عباد الله: اسم الله تعالى مبارك تحل البركة بذكره والتبارك وصفه وفعله {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}.

فتبارك الله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وجعل البركة في شرعه، وفي ما شاء ومن يشاء من مخلوقاته، والبركة كلها منه فهو تعالى الذي يحل البركة ويجعلها فيمن شاء من خلقه فيكون مباركا بإحلال البركة فيه ووصولها إلى غيره بواسطته كما قال تعالى عن عيسى عليه السلام أنه قال {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} وكل شيء لا يكون لله أو تنزع منه البركة فلا خير فيه.

أيها الناس البركة: هي استقرار الخير في الشيء وثبوته ونماؤه وزيادته، وذهاب الشر عنه ومن طريقه وبواسطته.

والله تعالى وحده هو الذي يجعل الخير فيمن وما شاء، ويثبته فيه، وينميه، ويزيده ويدفع عنه ضده فتظهر بركته، ويشتهر فضله، فإن البركة لا تكون في قليل إلا كثرته ولا في كثير إلا نفعته وضاعفته، ولا في شيء أو شخص أو محل إلا عم نفعه وذهب شره وكثر خيره فهي أمر يجعله الله تعالى في الأشياء فتتبارك وتنتشر البركة بواسطتها فيمن حلت فيه أو جاورها.

أيها المسلمون: وكتب الله المنزلة وأخصها القرآن العظيم والذكر الحكيم مباركة، فإنه كثير الخيرات، واسع المبرات عظيم الهدايات متنوع البركات أنزلها الله تعالى بيانا وهدى، وموعظة وشفاء وتبصرة وذكرى قال تعالى {وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ} وقال سبحانه {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آَيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} وما ذاك إلا لأنه اشتمل على أصدق الأخبار وأحكم الأحكام وأبلغ المواعظ وأكرم الوعد وأخوف الوعيد، وأكمل أسباب الهدى.

معشر المسلمين: والرسل صلى الله عليهم وعلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سادات مباركون وأئمة مكملون قرن الله تبارك وتعالى ذكرهم بالبركة قال تعالى {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ} وبارك تعالى على إبراهيم من بعده وصالح ذريته قال تعالى {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى

إِسْحَاقَ} وقال سبحانه {رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ} وبارك تبارك وتعالى على محمد وآله كما بارك وأبلغ مما بارك على إبراهيم وآله وشرع تعالى لنا أن ندعو لهم بالبركة في كل صلاة وكلهم دعا ربه طالبا المزيد من البركة كما قال تعالى {وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم «وبارك لي فيما أعطيت» ومن بركة كتب الله ورسله ولا سيما القرآن العظيم ومحمد صلى الله عليه وسلم النبي الكريم هذا العلم النافع والعمل الصالح المصلح للقلوب المزكي للنفوس المحقق لحسن الأخلاق الجالب للبركة والخير باتفاق، المطهر من خصال الشر والنفاق، المورث للذكر الجميل في الحياة وبعد الممات، وكريم الثواب في الدنيا والآخرة.

أيها المؤمنون: اطلبوا البركة من الله تبارك وتعالى وتعاطوا الأسباب التي تنال بها البركة شرعا وقدراً، واسألوا الله تعالى أن ينيلكم بركتها، وأن يجعلكم مباركين أينما كنتم وأن يبارك لكم فيما أعطاكم من العلم والعمل والأهل والولد والمال والقوى، وتجنبوا أسباب محقها وصرفها ونزعها من الشرك، والكفر والبدع وكبائر الذنوب، والحسد والقطيعة للرحم، والبغي والظلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتقوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} بارك الله لي ولكم في القرآن.

في التقوى والحرص على ما ينفع في الأولى والأخرى

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور.

أحمده سبحانه على حسن خلقه وإتقان صنعه وسعة علمه وبالغ حكمته وعظيم قدرته ونفوذ مشيئته فهو العلي القدير.

وأشكره تعالى على نعم سابغة متواصلة تترى في الصباح والبكور وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في خلقه وملكه وتدبيره، وفعله وتقديره واسمه وصفته، وإلهيته وعبادته بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير.

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أولي الهمم العالية والعزائم الماضية والسبق إلى كل خير.

أما بعد: عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله، والحرص على ما ينفع أحدكم في أمر الدنيا والأخرى مع الاستعانة بالله، والتسليم لله فيما قدره وقضاه، والحذر من الاعتراض على شيء من تقدير الله، إذا فات أحدكم شيء مما يسعى له ويتمناه، أو اليأس من روح الله إذا أبطأ المطلوب أو عز المرغوب، فإن الكل بقدر الله، والحكمة في كل ما أجراه، يقول الحق تبارك وتعالى {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم «اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

أيها المسلمون: أما تقوى الله فإنها جماع الخير، وأصل أصول البر، وحقيقتها وتطبيقها التحرز بطاعة الله تعالى عن معصيته طلبا لمرضاته وثوابه، واتقاءاً لغضبه وعقابه وتحقيقها بأن لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وهي بنص القرآن خير لباس، وحلية الأكرمين عند الله من الناس.

معشر المسلمين: والتقوى هي التي وعد الله تعالى أهلها في آي من التنزيل بأن يعلمهم، ويكف عنهم كيد أعداء الله، والنجاة من النار، ووراثة الجنة دار الأخيار وأن يجعل لهم فرقانا، ويكفر عنهم السيئات فضلا وإحسانا، وأن يجعل لهم مخرجا من كل ضيق، وأن يهديهم لأقوم الطريق، ويرزقهم

من حيث لا يحتسبون ويؤمنهم مما يخافون، ويحفظهم مما يحذرون ويجعل لهم من أمرهم يسرا، ويكفر عنهم سيئاتهم ويعظم لهم أجرا وغير ذلك من الوعود الكريمة والهبات الحسنة العظيمة.

معشر المسلمين: وأما الحرص على ما ينفع من أمور الدنيا والأخرى فإنه مقتضى الفطرة السليمة، ومقصد من مقاصد الشريعة الربانية الحكيمة، ومطلب العقل الصحيح، ووسيلة عمارة الدنيا، وبلوغ الدرجات العالية – مع الاحتساب – في الأخرى.

أيها المؤمنون: وكم في صريح الكتاب وصحيح السنة والمأثور عن السلف الصالح من الأمة من النصوص الحاظة على صالح العمل، والمبشرة لأهله بواسع الفضل، وجزيل المثوبة من الله عز وجل، قال تعالى {فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ} وقال سبحانه {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

عباد الله: ومن عناية الله تعالى بالحرص على صالح العمل تخفيف الله تعالى على الصالحين من عباده في نوافل العبادات من أجل عملهم في مهام الأمة ومصالحها العامة من التجارات، والجهاد في سبيل الله، لهداية البريات وعذره سبحانه للمرضى العاجزين عن هذه المهمات، وحظه تعالى للجميع في سائر الأحوال على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحظه على الإحسان إلى ذوي الحاجات، وعده سبحانه لذلك قرضا حسنا يعطي الله أهله عظيم الأجور، ويغفر لهم ويرحمهم لرحمتهم مستحق الرحمة طمعا في رحمة رب الأرض والسموات، يقول الحق تبارك وتعالى {عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

أيها المؤمنون: ولقد كان أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام مع علو مقامهم وشريف وظائفهم في طليعة من اشتغل بشريف المهن، طلبا لطيب الكسب والحلال من الرزق الحسن فكان نبي الله نوح وزكريا عليهما الصلاة والسلام ممن يحسن النجارة وكان يوسف عليه السلام يحسن الاقتصاد والإدارة وقد علم الله داود الصناعة وكان إدريس عليه السلام خياطا وكان النبي محمد صلى الله عليهم وسلم جميعا يحسن رعية الغنم وما تعاطى التجارة ربح وغنم.

وكم في المأثور عنه صلى الله عليه وسلم من حث الأمة على أنواع من أسباب الرزق، وحثها على الإحسان والتقوى والصدق ولقد عد صلى الله عليه وسلم طلب الرزق في هذه الأمور مع التقوى مما يعدل الجهاد في سبيل الله وأن الإنفاق على النفس والأهل من ذلك الكسب من جليل الصدقات عليهم يعدل أو أفضل من النفقة في سبيل الله.

فتحلوا – عباد الله – بالتقوى تفلحوا واعملوا صالحا تربحوا، واطلبوا الحلال من الكسب، والطيب من الرزق تستغنوا عن منة الخلق وتؤجروا، وأنفقوا من طيبات ما كسبتم تحسنوا {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}.

تذكرة أولي النهى بشأن التقوى

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير.

أحمده سبحانه على نعم كبار غزار فاقت الإحصاء والتقدير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير.

وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله البشير النذير، والسراج المنير، وأعظم شفيع بين يدي الله يوم الحشر والنشور.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أولى الهمم العلية والعزائم الماضية والسبقى لكل خير.

أما بعد: فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بالتقوى لله تعالى فإنها خير زاد وخير لباس، والمتقون عند الله هم أكرم الناس فاتقوا الله توقوا واتقوا الله تفلحوا، واتقوا الله تربحوا.

قال تعالى {وَاتقوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} وقال سبحانه {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} وقال جل ذكره {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا} {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا}.

عباد الله: من جانب التقوى فهو الأشقى الذي يصلى النار الكبرى قال تعالى {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى} فمن لم يتق فهو شقي ومن لم يكن من أهل الجنة فهو من أهل النار فإن النار دار ومآل كل ظالم قال تعالى {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ}.

أيها المسلمون: إنما سميت التقوى تقوى لأنها وقاية للمتقي من عقوبة الله تعالى في الدنيا إذ تحول بينه وبين المعصية التي هي المخالفة الموجبة للإثم والشقوة والعقوبة في الحياة، أو العذاب في القبر في البرزخ بعد الممات، وكذلكم التقوى وقاية في الآخرة أي سترة بين العبد وبين النار حال العبور على الصراط فيكون للتقوى نور يحول بين صاحبها وبين النار حتى تقول النار: جز يا عبد الله فقد أطفأ نورك حري » وذلك {يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ

يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ}.

معشر المسلمين: تيقنوا أنه ما من معصية لله تعالى بمخالفة شرعه إلا ولها عقوبة مقررة عادلة من رب العالمين، فإن العقوبة أنواع منها إما دينية شرعية كالحدود والتعازير أو قدرية كونية كالعقوبات السماوية أو الأرضية نفسية بدنية كالأمراض والجوائح وتسليط الأعداء وجور الولاة وأدنى ذلك عسر المعيشة، وحرمان الرزق، والابتلاء بالهم والحزن بأسباب الذنوب قال تعالى {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} وقال صلى الله عليه وسلم «... أَلَسْتَ تَنْصَبُ، أَلَسْتَ تَحْزَنُ، أَلَيْسَتْ تُصِيبُكَ اللأْوَاءُ فَهَذَا مَا تُجْزَونَ بِهِ » وقال تعالى {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}.

معشر المسلمين: فكل من لم يتقي الله تعالى بأن خالف أمر الله الديني الشرعي الثابت في الكتاب والسنة بأن ترك واجبا من فعل ما أمر بفعله، أو فعل ما نهى عنه بأمر تركه عن عمد أي عن علم وذكر واختيار فقد اتصف بالمعصية والإصرار على الحنث واستوجب العقوبة الشرعية أو القدرية إلا أن يتوب عن قرب «أي قبل الموت» أو يعفو الله عنه بسبب من أسباب عفوه أو بفضل رحمته، وإلا فلا بد من تعرضه للعقوبة إن عاجلا أو آجلا قال صلى الله عليه وسلم في الذنوب «فمن أصاب شيئا من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له وطهور، ومن ستره الله أي لم يكشف معصيته فذلك إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له».

معاشر المؤمنين: تحلوا بالتقوى تأمنوا من الشقاء فاحذروا الذنوب – وتوبوا مما اقترفتم منها عن قرب إلى علام الغيوب واحذروا الجرأة على المخالفة والإصرار على الخطيئة فإنهما موجبات للشقوة وشدة العقوبة والخزي والفضيحة على رؤوس الخلائق يوم القيامة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ}.

في استقبال رمضان ومنهاج العمل فيه

الحمد لله ذي الأسماء الحسنى والصفات العلى أحمده سبحانه حمدا يملأ الأرض والسماء وما بينهما وغيرهما مما يشاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي كثر ونوع وتابع لهذه الأمة مواسم الخيرات التي يسر فيها أنواع الطاعات، وأعظم الأجور وأكثر وأكرم المثوبة على الأعمال الصالحات لكل أواب شكور.

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله المبعوث بأحسن ملة، وأكمل شرعة وأجمل بشرى، وأبلغ نذارة.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أولي الهمم العالية والعزائم الماضية والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

أما بعد: فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله والعمل بما فيه رضاه، والحذر من كل ما يسخطه ويأباه، الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله عل كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما، وقال في محكم ما أنزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ }.

عباد الله: إنكم تستقبلون في قريب أيامكم شهر رمضان المبارك، ذلكم الشهر العظيم والموسم الكريم، فأحسنوا استقباله، وأشكروا لربكم تبارك وتعالى إحسانه وأفضاله، باغتنام اللحظات، واستباق الخيرات، والمنافسة في حسن أداء الأعمال الصالحات، والتوبة إلى الله تعالى من سالف الخطيئات، والنأي والحذر فيما تستقبلون من أنواع المخالفات.

أيها المسلمون: إن شهر رمضان المبارك موسم تجارة رابحة مع رب العالمين، ومناسبة سانحة للعفو والمسامحة عن خطيئات المخطئين وهو شهر يضاعف فيه الثواب والعمل وتكفر فيه الخطايا فضلا من الله عز وجل، فاستبشروا بقدومه، واغتبطوا بخصائصه، وتسابقوا في ميادينه، وأروا الله تعالى من أنفسكم خيرا، والتمسوا منه سبحانه مغفرة وأجرا.

معشر المسلمين: من خصائص شهر رمضان المبارك أنه شهر يزين الله تبارك وتعالى فيه في جنته لاستقبال صالحي عباده ويقول لها يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة والأذى ويصيروا إليك، ومن خصائصه أنه شهر تصفد فيه مردة الشياطين والجن لئلا يضلوا عباد الله الصالحين، وتفتح فيه أبواب الجنة لكثرة الأعمال الصالحة، من المؤمنين وتغلق فيه أبواب الجحيم لقلة المعاصي

من المسلمين ولكثرة العفو والمسامحة من رب العالمين. ومن خصائصه أيضا: أن الملائكة لتستغفر للصوام حتى يفطروا، وأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك فأبشروا وأن فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، وأن الله تبارك وتعالى يغفر لهذه الأمة في آخر ليلة من رمضان، وبالجملة فهو شهر أوله رحمه، وأوسطه مغفره، وآخره عتق من النار، فاغتنموا لحظاته، واستبقوا خيراته، واتقوا معصية الله فيه وموجبات عقوباته.

أيها المؤمنون: أكرموا ضيفكم واحفظوا عملكم واتقوا ربكم، بحفظ الصيام والنأي عن مفسداته والحرص على قيام ليله مع الإمام حتى انصرافه والتفاته، والأخذ من كل خصلة من خصال الخير فيه طمعا في فضل الله تعالى وجليل هباته، وإمضاء ساعات ليلة ونهاره في تلاوة القرآن، والثناء على الله تعالى ودعائه في كل آن، والتنافس في خصال البر والإحسان، واستكثروا فيه من أربع خصال:

من شهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه وبذلك ترضون ربكم، وسؤال الله الجنة والاستعاذة به من النار وهما خصلتان لا غنى بكم عنهما.

معشر المؤمنين: تذكروا كم متمنٍ لبلوغ هذا الشهر فلم يدركه، وكم من مدرك له ثم لا يتمه ليتجلى لكم أن الفسح في الأجل والتمكن من صالح العمل من منح الله عز وجل فاغتنموا المهلة قبل النقلة وتفكروا كم من متم لهذا الشهر لكنه صامه وحظه من صيامه الجوع والعطش، وقامه وحظه من قيامه التعب والسهر، لتدركوا شؤم الغفلة وإجراء العبادة على الإلف والعادة، أو الإتيان معها وبعدها بما يبطلها مثل الرياء أو المن أو الإدلاء، أو استماع السب والاستهزاء بالله جل وعلا، أو شيء من السخرية بشيء من شريعة خاتم الأنبياء أو نحو ذلك مما عم به الابتلاء، لتحذروا ذلك وتجانبوه، وتتوبوا إلى ربكم وتستغفروه لتحافظوا على عملكم وربح تجارتكم وتغتبطوا يوم لقاء ربكم بفوزكم وفلاحكم {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}.

فاعملوا بالقرآن والسنة تفرحوا، ودوموا على صالح العمل وأحسنوه تربحوا، ولا تغفلوا فتفاجؤوا بالأجل وآوان الانقطاع عن العمل فتغبنوا وتندموا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ}.

بارك الله للجميع بهدي كتابه وجعلهم من خيرة أوليائه وأحبائه وجمعهم بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستغفروا الله لي ولكم ولعموم المؤمنين والمسلمين من كل ذنب فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

في خصائص شهر رمضان

الحمد لله الواحد القهار، الكريم الغفار، الذي يخلق ما يشاء ويختار.

أحمده سبحانه، على حكيم أحكامه، وجليل حكمه، وأشكره تبارك اسمه على سابغ نعمه، ومتنوع جوده وكرمه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي كتب على المؤمنين الصيام، ويسر ما يتعلق به من الأحكام، وجعل من ثوابه مغفرة الذنوب، ومضاعفة الأجور والعتق من النار، ودخول الجنة مع الأخيار.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أشرف من صلى وصام، وتصدق وقام. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أئمة المسارعين في الخيرات.

أما بعد: فإن من نعم الله العظيمة وآلائه الجسيمة أن يفسح للمرء في أجله، ويمكنه من أن يستزيد من صالح عمله ويتوب إليه ويستغفره من تقصيره وزلله، وتكمل هذه النعمة وتتحقق المنة إذا جعله يدرك شهر رمضان ذلكم الشهر العظيم والموسم الكريم الذي اختاره الله سبحانه { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} ليكون ظرفا لأداء عبادة الصيام، والاجتماع على القيام فضلا منه على عباده وإحسانا منه إليهم فإن لهذا الشهر خصائص تدل على شرفه وعظم شأنه عند الله تبارك وتعالى منها.

عباد الله: أول تلك الخصائص لهذا الشهر الكريم والموسم العظيم أن الله تبارك وتعالى: جعله زمنا لأداء فريضة الصيام الذي هو أحد أركان الإسلام، وأختص الله الصوم لنفسه من بين سائر الأعمال مما يدل على عظم شأنه ورفعة منزلته عند الله تبارك وتعالى – وهو سبحانه وتعالى العليم الحكيم الذي يضع الأمور مواضعها اللائقة بها بحيث لا يصلح غيرها مكانها فلما اختار الله جل وعلا شهر رمضان زمنا لأداء فريضة الصوم تدل ذلك على شرفه وعظم شأنه.

أيها الناس: ومن خصائص هذا الشهر الكريم والموسم العظيم أن الله جل وعلا اختاره لنزول القرآن فأنزل القرآن بشأنه أو ابتدأ، نزول القرآن في ليلة القدر منه، أو أنزل جملة واحدة من عند الله تبارك إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل مفرقاً بحسب الحوادث و المناسبات فعلى أي وجه من وجوه تفسير إنزال القرآن في رمضان فذلك دليل على فضل رمضان وعلو منزلته عند الله تبارك وتعالى وعظم شأن العمل الصالح فيه.

أيها المسلمون: ومن جليل خصائص هذا الموسم المبارك الذي لا يحرم من خيره إلا هالك أنه يتحقق فيه أمور عظيمة تنشط المؤمن على طاعة الله وتجعله يحجم عن معصيته ويرجو رحمة ربه فيه كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب الجحيم، وصفدت الشياطين فذلك كله يدل على ما لرمضان من مزيد الخصوصية وما يتهيأ فيه من الإعانة على الخير، وترك الشرور والاجتهاد في أنواع العمل الصالح والتوبة من القبائح إلى غير ذلك من أسباب رفعة الدرجة وعلو المقام عند الله عز وجل.

أيها المؤمنون: ومن خصائص هذه الشهر المعلومة لهذه الأمة المرحومة.

أنه شهر يستجاب فيه الدعاء ويكثر فيه الذكر الذي يرفع مقام العبد عند ربه جل وعلا فيذكره سبحانه مثنيا عليه في الملأ الأعلى – ولذا والله – جاء قول الحق جل وعلا {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} في ثنايا آيات ذكر أحكام الصيام هداية للعباد وتنبيها لهم على الصلة الوثيقة بين الصيام والدعاء وأن ليل رمضان ونهاره كلها مظنة لإجابة الدعاء وفي ذلك من الحظ عليه ما لا يخفى ولا سيما أنه قد ثبتت الأحاديث الصحيحة الدالة على أن دعوة الصائم لا ترد – كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة لا ترد دعوتهم » الحديث وفيه الصائم حين يفطر» وقال صلى الله عليه وسلم فاستكثروا فيه – يعني رمضان – من أربع خصال: خصلتان ترضون بهما ربكم، وخصلتان لا غنى بكم عنهما، فأما اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما، فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار.

معشر المؤمنين: ومن خصائص هذا الشهر الشهيرة الذكر.

إن فيه ليلة القدر الموصوفة بأنها ليلة مباركة وأنها يفرق فيها كل أمر حكيم وأنها خير من ألف شهر وأنها تتنزل فيها الأملاك وأنها سلام حتى مطلع الفجر إلى غير ذلك من أوصافها العظيمة الدالة على عظم شأنها، وكثرة ما فيها من الخير والبركة لأهل الإيمان وعظم شأن العمل الصالح فيها عند الله وما فيها من الأوامر الحكيمة المؤثرة على الإنسان والأكوان فشهر فيه هذه الليلة شهر عظيم ومقداره عند الله كبير، وللعمل الصالح فيه عند الله مقام علي يعلي صاحبه.

أمة الإسلام: ومما خص الله به شهركم مما يرفع ذكرهم ويعظم أجركم

أنه شهر يضاعف فيه العمل ويضاعف فيه الثواب كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: من أدى فيه نافلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين

فريضة فيما سواه وفي الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى «كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لي وأن أجزي به» فجعل سبحانه جزاء الأعمال مضاعفا الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فجعل جزاءه عليه ولم يقيده بعدد ما يدل على عظم ثوابه وأنه لا يعلمه إلا الله جل وعلا كيف لا والصوم نوع من الصبر ويقع في شهر الصبر وقد قال تعالى {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} وقال تعالى {وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}.

أمة الإيمان ومما خصصتم به في شهر رمضان فضلا من الرحمن.

إنه شهر يكثر فيه العتق من النار فإن لله تعالى في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار فإذا كان في آخر ليلة منه اعتق الله تبارك وتعالى من النار مثل ما اعتق من أوله إلى آخره، فما أكثر العتقاء من النار، وما أكثر من يسجل في هذا الشهر في عداد سكان جنات تجري من تحتها الأنهار فاغتبطوا بفضل ربكم، واستبقوا خصائصه طيلة شهركم تفوزوا بما وعدكم به في ذكركم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

شرف الأيام المعلومات والمعدودات واغتنامها بالأعمال الصالحات

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله وتقربوا إليه سبحانه بما شرع لكم من دينه وهداه على منهاج نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله ومصطفاه، فإن ذلك عنوان السعادة، وآية الفلاح والإفادة وموجب الفوز بالحسنى والزيادة.

أيها الناس: إنكم في موسم عظيم، ومتجر كريم، مع الرب الرحيم، بأنواع من العمل الصالح الموجب للمتجر الرابح، فإن الأيام المعلومات المعدودات جعلها الله تبارك ظروفا لأعمال صالحة وموسم تجارة رابحة يتفنن عباد الله الصالحون الموفقون فيها بالإتجار مع الله تبارك وتعالى بالأعمال الصالحة من التوحيد والذكر والصلاة التي هي رأس ومظهر الشكر والصدقة التي حقيقة الإحسان الذي جزاءه الإحسان، والصوم الذي هو زينة العمل عند عرضه على الله عز وجل، والحج والعمرة النافيان للفقر والذنوب فضلا من علام الغيوب وجزاء برهما الجنة دار السلام فضلا من ذي الجلال والإكرام، والنساك لله تعالى بشعائر الإحرام والمشاعر العظام وبالنحر والذبح الذي هو أظهر شيء يوم العيد من أهل الإسلام كل عام فاضربوا – عباد الله في كل خصلة من خصال الخير بسهم وافر، وتسابقوا إلى ما شرع الله لكم من العبادات التي تصلح بها السرائر وتعمر بها الضمائر، ويتحقق بها الأجر الوافر، وتذكروا أن الأعمار نفس معدود وأمد محدود، والمعدود إلى فناء والمحدود إلى انقضاء، ثم تفضون إلى دار الحساب والجزاء، فيجزى الذين أساؤوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه فقد أبلغ في الإعذار من تقدم بالإنذار.

عباد الله: إن النسك «أي ذبح بهيمة الأنعام تقربا إلى الله تعالى بما شرع» من أعظم شعائر الملة التي تعبد الله بها المكلفين وميز بها الموحدين عن المشركين لما فيه من ظهور كرم النفس، والثقة برب الخلق في الرزق والإحسان إلى النفس والخلق، والبراءة من الشح ونحوه من سيء الخلق، ولذا جعله الله تبارك وتعالى من الشرائع العامة للأمم قال تعالى {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} الآيات إلى قوله: {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ}.

أيها المسلمون: ومما يبين عظمة شريعة النسك في دين الإسلام أن الله تبارك وتعالى جعلها قرينة الصلاة التي هي عمود الديانة والأمانة وفرقان ما بين المسلمين الأخيار والكفار الفجار في الدنيا تمييزاً لأهل الجنة من أهل النار قال تعالى {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} وقال سبحانه {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي

وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}.

فانسكوا لله كما تصلون، واذكر اسمه على نسككم توحدون، وتحققوا التقوى، و تناولوا ما وعدتم به من كرم المثوبة في الدنيا الأخرى وتذكروا قول ربكم فيما تقرأون {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}.

معشر المسلمين: لقد أقام نبيكم صلى الله عليه وسلم بعد هجرته عشر سنين يضحي كل عام، ويهدي هديا إلى البيت الحرام فكان صلى الله عليه وسلم كثير الصلاة كثير النحر، جواداً بكل خير وبر، وقد قال تعالى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} وقال صلى الله عليه وسلم «عليكم بسنتي» وقال «من رغب عن سنتي فليس مني».

ففي الطبراني عن جابر عنه صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أيام أفضل عند الله من أيام ذي الحجة العشر » ورواه البزار بلفظ «أفضل أيام الدنيا العشر – يعني عشر ذي الحجة – قيل ولا مثلهن في سبيل الله قال: ولا مثلهن في سبيل الله إلا رجلا عفر وجهه بالتراب» يعني قتيلا في سبيل الله «وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام – يعني أيام العشر – قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء ٤٥٧/٢» ورواه البيهقي بلفظ «ما عمل أزكى عند الله ولا أعظم أجرا من خير يعمله في عشر الأضحى ٢٨٤/٤».

أيها المؤمنون: إن من جليل العمل الصالح في تلكم العشر ذكر الله عز وجل بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير لما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشر فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير» رواه الطبراني بإسناد جيد، ورواه البيهقي بمعناه وفيه وإن صيام يوم منه يعدل بصيام سنة، والعمل فيهن يضاعف بسبعمائة ضعف، وقد رويت آثار وأخبار تحض عن صيام تلك الأيام وقيام ليلها وتنبه على عظم مثوبته وكرم أجره وتعدله بالجهاد والرباط في سبيل الله.

معشر المؤمنين: وأما صوم يوم عرفة بخصوصه فهو أمر مؤكد وثوابه كريم لا يعد ففي مسند أبي يعلى بإسناد رجاله رجال الصحيح عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من صام يوم عرفة غفر له ذنب سنتين متتابعتين» وخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي قتادة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم عرفة قال: «يكفر السنة الماضية والباقية» وخرجه الترمذي في سننه بلفظ صيام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده».

أمة الإسلام: وأما الوقوف بعرفة حاجا لمن تيسر له ذلك فإن الله تعالى يباهي بأهل عرفة الملائكة.

يقول: عبادي جاؤني شعثا غبرا من كل فج عميق يرجون جنتي فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل أو كقطر المطر أو كزبد البحر لغفرتها أفيضوا مغفوراً لكم ولمن شفعتم له»، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من يوم أكثر من أن يعتق فيه عبدا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو يتجلى ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء» وفي الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم أهل الجمع بمن حلوا لأستبشروا بالفضل بعد المغفرة.

أمة الإيمان: إنه ما عمل الأدمي يوم النحر عملا أحب إلى الله تعالى من إراقة دم» فضحوا تقبل الله ضحاياكم وطيبوا بها نفسا فإن الدم ليقع من الله تعالى بمكان قبل أن يقع على الأرض، قال علي رضي الله عنه: إذا اشتريت اضحية فاشترها ثنيا فصاعدا، واستسمن فإن أكلت أكلت طيبا، وإن أطعمت أطعمت طيبا.

أمة الإيمان: اذكروا الله في الأيام المعلومات والمعدودات واجتهدوا فيما شرع لكم ربكم من أنواع الطاعة فيها ترفعوا إلى علي الدرجات، وتعتقوا من النار وما فيها من الدركات فما علمتم فاعملوا به، وما جهلتم فاسألوا عنه لتعلموا به، وما أخطأتم فيه فتبينوا ما يلزمكم لتصحيحه، وما اقترفتم من إثم فتوبوا إلى الله منه، قبل فوات الآوان، وزوال الإمكان قال تعالى {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ

تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥) وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ}.

بارك الله لنا جميعا بهدي كتابه وجعلنا من خاصة أوليائه وأحبابه واستغفروا الله لي ولكم ولوالدينا وعموم المسلمين.

معالم الاغتباط بشهر رمضان

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين.

أحمده سبحانه، وأشكر له فضله وإحسانه وأسأله للجميع المزيد من التوفيق للإحسان والإعانة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك الذي شرع للأوقات ما يناسبها من الطاعات ويسر العبادة للعباد في جميع الحالات.

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وأسوة المؤمنين صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون.

أما بعد: أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله ذي العظمة والجلال، في كل وقت وحال، فإن التقوى وصية الله تعالى للأولين والآخرين، ومفتتح دعوة المرسلين والنبيين، و زبدة الكتاب المبين، وأول وصية النبي الأمين لكل من يودعه من المسلمين وهي موجب الفلاح والسعادة في الدارين.

عباد الله: لقد أظلكم شهر عظيم، وقاربكم وافد كريم، ما مر بالمسلمين شهر خير لهم منه.

ألا إنه شهر رمضان، الذي أنزل فيه القرآن، وجعله الله تبارك وتعالى موسما عظيما من مواسم الرحمة والغفران، والعتق من النيران ﴿ووراثة علي الجنان.

أيها المسلمون: شهر رمضان ظرف فريضة الصيام، وشعيرة القيام من صامه إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قامه إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه. وفيه ييسر صالح العمل، مع مضاعفته ومضاعفة الثواب عليه فضلا من الله عز وجل وفيه تغل مردة الشياطين، وتفتح أبواب الجنة تهيئة وتشويقا لعباد الله الصالحين.

أيها المسلمون: ذلك الشهر الكريم: من شرفه أن ليله ونهاره.

يسمع فيه الثناء ويستجاب فيه الدعاء في سائر الآناء، وفيه يعظم شأن الصدقات، وتعتق فيه الرقاب الموبقات وفيه ليلة القدر، ليلة مباركة خير من ألف شهر، وهي في العشر الأواخر منه باتفاق ولذا كانت عشرة الأخيرة أفضل ليالي السنة على الإطلاق، وفيه يفرح الصائمون بفطرهم حين يفطرون، مقدمة لفرح يومهم لربهم يلاقون وكم فيه من الخير الميسر، والأجر الكريم المدخر مما لم يخطر على بال بشر.

معشر المسلمين: استبشروا بقدوم رمضان وأسالوا الله الكريم أن يبلغكم إياه فإنه المنان وتهيئوا لاستقباله، وأعدوا لهم ما يعينكم على صالح أعماله، ويحول بينكم وبين تضييع أوقاته وإهماله، أو

مبارزة الله تعالى بما لا يليق بعظمته وجلاله فكما أن صالح الأعمال في رمضان مضاعفة، فإن السيئات فيه معظمة فاجتهدوا فيه في الصالحات واتقوا فيه السيئات، واحفظوا فيه الأوقات واستعينوا بالله تعالى وأخلصوا له في جميع الحالات فإن الشيء بغير الله تعالى لا يكون ولغيره لا يدوم فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها المؤمنون: إن من معالم الفرح بقدوم رمضان والاستعداد له، أن يتفرغ المرء من كل أوجل مشاغل دنياه، وأن يحصي ماله إن كان من أهل الزكاة، وأن يرتب وقته ليشغله بما أمكن من طاعة الله، وأن يجعل له خطة عمل في الليل والنهار، دون تضييع لمسؤولية أو إخلال بواجب وتفريط في أمانة، بل يسدد ويقارب ويقسم وقته وفق الغايات والمطالب فيعتني أولا بحفظ الصيام، ثم يثنيه بتكميل القيام ويجود على أهله بطيب النفقة، ويحدد ما ينوي إخراجه من الزكاة والصدقة، ويخصص وقتا لحفظ وتلاوة القرآن، وأخر للتفقه فيما يحتاج إليه من الأحكام، ويجعل من وقته شيئا لصلة الأرحام، وما أمكن من تفطير وإطعام الصوام فإنه بالنية الصالحة والعزيمة الصادقة وحفظ الوقت، وتحري مهمات العمل واتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم يتحقق الفلاح وتعظم الأرباح {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ}.

اللهم بلغنا شهر الصيام، ووفقنا لما شرعت فيه من خصال الإسلام، واختم لنا بالقبول وأعتقنا من النار وأورثنا الفردوس الأعلى مع الأخيار، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

إرشادات لصوام رمضان

الحمد لله على متنوع وسابغ نعمه، وأسأله تعالى للجميع المزيد من جوده وألوان كرمه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأمينه على وحيه.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه على سنته ولزم هديه إلى يوم يبعثون.

أما بعد:

فيا أيها الناس اتقوا الله ربكم، واعملوا بطاعته جهدكم، واشكروا نعمته عليكم إذ بلغكم شهر الصيام، ويسر لكم الأحكام وأسبغ عليكم الإنعام، فكم من نعمة خصكم بها دون الأنام وكثر لكم فيه موجبات مضاعفات الحسنات ومحو الخطيئات، ورفعة الدرجات من أنواع العمل الصالح، وأسباب المتجر الرابح.

عباد الله: احفظوا الصيام، وأقوا القيام واجتنبوا دواعي النقصان وموجبات الإثم والخسران، وأخلصوا لله تعالى القصد والنية واستقيموا على الشريعة الربانية، واتبعوا السنة النبوية في الأداء والكيفية، تكونوا من خير أمة أخرجت للناس، والشهداء على الناس، ومن أول من يدخل الجنة من الناس فإن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها أعده الله تبارك وتعالى لمن أفشى السلام وأطاب الكلام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام» ومصداق ذلك من التنزيل الحكيم قول الحق جل وعلا {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} وقوله سبحانه {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

أيها المسلمون: كما تضمنت نصوص فضائل الصيام من بشارات للصوام فالصائم يضاعف له أجره بغير حساب، والصوم يشفع لصاحبه يوم القيامة حتى يشفعه الله تعالى فيه، وللصائم له دعوة لا ترد، وتستغفر له الملائكة حتى يفطر وله فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه وإن في الجنة بابا يقال له الريان لا يدخل منه إلا الصائمون فاستبقوا إليه واحذروا ما يصدكم عنه فما أقصر الحياة، وما أقرب الممات، وكل ما هو آت آت، وإنما البعيد ما ليس بآت، والشقي من حرم جنة عرضها الأرض والسموات، وتردى في النار في سحيق الدركات فتفكروا وشمروا واحذروا واتجروا مع ربكم الكريم في شهر الصوم العظيم.

معشر المسلمين: تذكروا أن صوم شهر رمضان أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام وأن شهر رمضان شهر القرآن والغفران، واستباق الخيرات والسبق إلى أعالي الجنات بالتقرب إلى الله تعالى بأنواع البر والإحسان، وأنه يكثر فيه العتق من النيران، فابتغوا الكريم بالصوم والثواب وتصدقوا لهول يوم الحساب وفكوا الرقاب وخذوا إلى رضوان الله تعالى بأوثق الأسباب، قبل غلق الباب وطي الكتاب فإن الفرص لا تدوم وإن البقاء الأبدي للحي القيوم، وتذكروا أن العمل لكم قرين محتوم.

أيها المؤمنون: احذروا المفطرات المتفق عليها في نهار الصيام بالإجماع كالأكل والشرب والجماع وما في معناها كالأدوية والحبوب من طريق الفم والإبر المغذية والاستمناء، والاستقاء فإنها من غير عذر من كبائر الذنوب وموجبات غضب علام الغيوب وإنه من أفطر يوما من رمضان لغير عذر لم يجزه صيام الدهر وإن صامه لأنه لن يجد للقضاء وقتاً أفضل من الوقت الذي ضيعه وحاذروا المفطرات الراجح الفطر بها كالحجامة والتبرع بالدم، وقد يلحق بها الفطر بالبخاخات المضغوطة والإبر المشتملة على المواد والسوائل التي هي في القدر والفطر مثل ما يحتمل لأن يصل إلى الجوف عند المبالغة في الاستنشاق، وفي الصحيح باتفاق عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «فمن أتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه، وفيها كذلكم دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

وفي التنزيل {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} وفيه {وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} وفيه {وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا}.

ألا وعظموا العبادة، وأدوها على وجه الإحسان من غير نقصان ولا زيادة، ولا يكن أداؤها على وجه التقليد والعادة، بل افعلوها محتسبين وبنبيكم محمد صلى الله عليه وسلم متأسين، وبهداية الله تعالى لكم وإعانته مغتبطين، ولكرم مثوبته وعظم عفوه راجين، وكملوها بكثرة الذكر والاستغفار، والعزم على التعبد لله بها ما امتدت بكم الأعمار، بالحياة ما تعاقب الليل والنهار وتذكروا أن الحكمة من الصوم التحقق بالتقوى لتنجوا من النار وتدخلوا جنة المأوى، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} بارك الله لي ولكم في القرآن ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان واستغفروا الله لي ولكم فاستغفروه.

الوصية بالاستمرار على العمل الصالح بعد رمضان

الحمد لله الذي وسع كل شيء علما.

وأحاط بكل شيء عزة وحكما.

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطونه به علما.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، النبي المرسل والإمام المكمل.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم خير صحب وأكمل آل، ما تعاقب الجديدان، وما ذكر الله تبارك وتعالى وشكره أهل الإسلام والإيمان والإحسان.

أما بعد: فيا أيها الناس: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى في كل حال، والشكر له على ما أولانا من جزيل النعم وأنواع الإفضال، والحذر من الجحود لفضله والكفر بنعمه فإن ذلكم من شأن أهل الكفر والشرك والضلال.

ألا وإن الله جل ذكره قد بشر المتقين بالفلاح الأكيد، ووعد الشاكرين بالمزيد، وتوعد وهدد الكافرين بالعذاب الشديد.

فاتقوا الله سبحانه، وأشكروا له إحسانه واجتنبوا فعل من أخزاه الله وأهانه.

عباد الله: أشكروا الله تبارك وتعالى على أن فسح لكم في الآجال، ومد في الأعمار، فأمهلكم لتستزيدوا من صالح الأعمال، وتتوبوا وتستغفروا من التقصير والزلل، وتستزيدوا من التجارة معه عز وجل، فاغتنموا المهلة في العمل الصالح والمتجر الرابح قبل النقلة، ولا تغفلوا فتقسوا قلوبكم فإن الله تبارك وتعالى قد قال {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} الآية.

وقال تعالى {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.

أيها المسلمون: لئن انقضى رمضان، فإن ما يتعبد لله تعالى فيه باق ومشروع في كل آن، وللتعبد له به سبحانه عنده أعظم شأن. وإنه ليس لعمل المؤمن انقطاع دون الموت قال تعالى {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} يعني الموت، وبئس العبد عبد لا يعرف ربه إلا في رمضان، ألا وإن الله تعالى لا يسأل العباد إلا عما افترض عليهم، ولكن الله تعالى قد وعد المؤمنين العاملين للصالحات جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لاستدامتهم وثباتهم على الإيمان والعمل الصالح ومجانبة ارتكاب والإصرار على القبائح، مهما امتدت بهم الأعمار، وتعاقب عليهم الليل والنهار. ثم إن العمل مهما

كمل فإنه محل للنقص والخلل، وقد شرع الله تبارك وتعالى النوافل مكملة للفرائض، ومزيداً للعاملين قبل العوارض، وكفارات للخطايا وموجبات الرضوان، وسلما يصعد به العبد في درجات الجنان، ويستزيد به من أنواع الفضل والإحسان.

معشر المسلمين: إن الصيام عمل اختصه الله لنفسه وجعل جزاءه عليه، وجعله زينة للعمل حين يعرض عليه، وخص أهله بباب من أبواب الجنة، وضمن للصوام إجابة الدعوة، وجنسه مشروع في سائر العام، فلا تعرض عنه فإنه من أعظم كفارات الآثام وموجبات دخول الجنة بسلام.

وأما الصلاة فإنها تحط بها الخطيئات وترفع بها الدرجات حتى يبلغ بها المصلي أن يكون مرافقا للنبي صلى الله عليه وسلم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما.

{وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

أيها المؤمنون: وأما الصدقات فإنها دواء للمرضى وموجبات لسعة الرزق والرضا، وهي ظل لصاحبها يوم القيامة، فكل امرئ في ظل صدقته، وهي سترة من النار، وجاعلة صاحبها في جيرة الكريم الغفار فإن الله تبارك وتعالى حين خلق جنة عدن بيده قال لها تكلمي فقالت «قد أفلح المؤمنون» فقال سبحانه «وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل».

معشر المؤمنين: وأما القرآن والذكر والدعاء فخصال كريمة وقربات عظيمة، حق من تقرب بها إلى الله أن يزيد الله تبارك وتعالى هداه، وأن يذكره جل وعلا في علاه، وأن يستجيب دعاه، ويقضي حاجته ويعطيه من فضله فوق ما رجاه وتمناه، وأن يكتب له بها جواراً من النار، ونزلا في الفردوس الأعلى مع الأخيار.

أمة الإسلام: مضى رمضان هذا العام بسلام، واستقبلتم ما بعده من الأيام فأي خصلة من تلك الخصال ستتركون وأي عبادة من هذه العبادات عنها تستغنون. وإذا تركتم شيئا منها فأي عمل خير منها به تشتغلون {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}.

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه وجاء له من الهدى والبيان أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

من نعم الله على أهل الإسلام بشهر الصيام

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين.

أحمده سبحانه على حكمته في قضائه وتقديره، وأشكره جل ذكره على نعمته في شرعه وتيسيره.

واسأله تبارك اسمه – للجميع – باسمه العظيم ووجه الكريم، التوفيق للعلم النافع المثمر للاعتقاد الصحيح والقول السديد، والعمل الصالح، والخلق الحميد. والعصمة من كفران النعم، وموجبات النقم، والسلامة من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي جعل الزمان ظرفا للعمل، ووسيلة إلى استكمال الأجل، وآية من آيات دلائل قدرته، ووجوب إفراده سبحانه في إلهيته وعبادته، كما انفرد بربوبيته وكمال علمه وحكمته وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله المصطفى ورسوله المجتبى المبعوث إلى كافة الورى بالدين والهدى لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى، وبدور الدجى، ما صبح بدى، وليل سجى.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى حق تقاته واشكروه على سابغ نعمه وجليل هباته، حيث بلغكم شهر الصيام، وأنتم ترفلون في ثياب النعم من الصحة في الأبدان والأمن في الأوطان، والهدى الذين تعرفون به بركة الطاعة وثواب خصال الإيمان وشؤم المخالفات بأنواع الفسوق والعصيان في الدنيا، ويوم لقاء الملك الديان.

فاشكروا الله تعالى على إنعامه، وتنافسوا في أسباب رضاه ومثوبته وإكرامه واغتنموا ما جعل الله في هذا الشهر الكريم من البركات الكثيرة والخيرات الوفيرة والأجور الكبيرة، والغنائم الشهيرة وأعرفوا له تعالى فضله بحسن قضائه لكم فيه، واجتهدوا في أنواع الطاعة والإحسان فيه، واعمروا أوقاته وسائر لحظاته بالذكر والثناء والبر والدعاء، وتلاوة القرآن والجود في العطاء، والتوبة إلى الله تعالى من التقصير في الأداء والنقص من التوقير للنعماء ولا تضيعوا فرص أيامه ولياليه بالنوم واللهو والإثم واللغو فإن زمان رمضان شريف، وإن العمل الصالح فيه مظنة عظيم الأجور مع التضعيف فلو عقلتم حقا ما دخر الله لكم فيه من كريم الثواب وحسن المآب والوقاية من موجبات العذاب لتمنيتم أن تكون السنة كلها رمضان استزادة من عظيم الفضل والإحسان {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} {لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ}.

عباد الله: صوموا نهار شهركم محسنين محتسبين وقوموا ما تيسر من ليله متدبرين للقرآن متضرعين إلى الرحمن فإنه «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وإنه من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه، فإذا صام أحدكم عن المفطرات طلبا لرضا رب الأرض والسموات فليصم معه السمع والبصر، وليدع الناس من الأذى ولا يجعل يوم صومه ويوم فطره سواء».

معشر المسلمين: زينوا صيام بحسن السمت وتلاوة القرآن، وجملوه بوقار الذكر وأنواع البر والإحسان فإن الله يحب المحسنين ويجزي المتعبدين ويكرم أهل القرآن، واعترفوا بتقصيركم في حق ربكم المنان ذي الفضل والإحسان والهجوا بالتوبة والاستغفار في كل آن {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} {وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} هم الأقماع الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون.

أمة الإسلام: سارعوا في هذا الشهر الكريم إلى ما يحب لكم ربكم ويرضى وتنافسوا في خصال التقوى وتعاونوا على أسباب المغفرة، وجوانب المثوبة من إصلاح ذات البين وسلامة الصدور من الغل والحقد والضغينة على أحد من المسلمين والمؤمنين، وأحسنوا إلى مستحقي الإحسان، واتركوا التنافس والبغضاء والقطيعة فإن أهل هذه الأعمال الشنيعة متوعدون بخطير العقوبة في محكم القرآن، واهجروا الغيبة والنميمة والكذب والبهت وسوء الظن بأهل الإسلام فإن هذه من خصال أهل النفاق الممقوتين عند العظيم الخلاق وإنها مظالم تنقص الأجر وتحمل الوزر باتفاق وعلى الإطلاق واحذروا – عباد الله – الغش في المعاملات والخداع في البيوعات وبخس المكاييل والموزونات وأكل الربا وتعاطي الرشا وغيرها من الموبقات فإنها مظالم محققة، وكبائر مهلكة ونواقض للحسنات وماحقة للبركات وجالبة لأليم العذاب وشديد العقوبات في الدنيا والآخرة ويوم حشر البريات، واجتنبوا سماع الأغاني والموسيقى فإنها لهو الحديث ومنافية للقرآن، وهي مقسية القلوب ومزمار الشيطان، ورقية الزنا، والصارف عن الهدى، وجنبوا أولادكم في رمضان وكل آن الألعاب الإلكترونية فإنها مضيعة للوقت، ومفسدة للسلوك ومنغصة للنوم، وفاتحة لأبواب الشر.

أما بعد: فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فإنها لكم خير زاد وخير لباس وآلاء وإن المتقين عند الله تبارك وتعالى أكرم الناس {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.

عباد الله: استقبلوا شهر رمضان المبارك بانشراح الصدور واغتباط النفوس وسرور القلوب فرحا بما خصكم الله تبارك وتعالى به من الخصائص العظيمة وما ادخره الله جل وعلا فيه لكم من الأجور الكريمة فإنه شهر مغفرة ورحمة, وخير وكرامة وعتق من النار, وموسم كريم يغتنمه الأبرار بما يعلي مقامهم ويرفع درجتهم عند الرحيم الغفار, ببلوغ الدرجات العالية في جنات تجري تحتها الأنهار ليبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم.

{وعد اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} فاشكروا ربكم الرحمن, وعظموا شهر رمضان, وتقربوا إلى ربكم بما شرع لكم من خصال الإيمان, فاعرفوا لشهركم شأنه, واذكروا آلاء الله وإحسانه.

أيها المسلمون: لقد كتب الله عليكم صيام نهار شهر رمضان – كما كتبه على الذين من قبلكم تحقيقا للتقوى, وسبيلا إلى جنة المأوى, فاحفظوا صيامه باجتناب المفطرات المبطلات والنواقص المذهبة للحسنات, والجالبة للآثام والسيئات ففي الصحيحين عن نبيكم صلى الله عليه وسلم أنه قال «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه فصوموا نهاره مؤمنين, واحفظوا صيامكم عما يفسده أو ينقصه محتسبين ولا يكن حظكم من صيامه الجوع والعطش قال صلى الله عليه وسلم «إذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني امرؤ صائم, وقال عليه الصلاة والسلام, من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» وقال جابر رضي الله عنه إذا صام أحدكم فليصم سمعه وبصره وليدع قول الزور وأذى الجار ولا يكن يوم صومك ويوم فطرك سواء».

معشر المسلمين: وتذكروا أن قيام ليالي رمضان سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وشعيرة من شعائر دينكم المعظم فقد قال تعالى في صفة أهل الجنة {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وفي الصحيحين عن نبيكم صلى الله عليه وسلم أنه قال من قام رمضان إيمانا واحتسابا

غفر له ما تقدم من ذنبه فقوموا ليالي هذا الشهر واحتسبوا عند ربكم كريم المثوبة وعظيم الأجر, واغتنموا القيام مع الأئمة حتى ينصرفوا من كامل الصلاة فإنه ضمانة لتحقيق القيام واستيفاء للأجر فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة».

معشر المؤمنين: واغتنموا هذا الشهر الكريم والموسم العظيم بكثرة الإنفاق مما رزقكم الله من فضله قال تعالى {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} وقال سبحانه {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} فأنفقوا من طيبات ما كسبتم على أنفسكم وأهليكم فإنه أعظم نفقاتكم أجراً، ومن أجلِّ ما تدخرونه عند ربكم ذخراً، قال تعالى {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا} وقد تواترت الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم المنبهة على أن أعظم نفقاً أجر إنفاق المرء على نفسه وأهله وخاصته وأن ذلك من جليل الصدقات ونفيس القربات.

معشر المؤمنين: وفي كثرة الإنفاق في هذا الشهر الكريم وحسنه على مستحقه إعانة للمنفق عليهم على طاعة الله, وكفاً لهم عن الحاجة إلى خلق الله وتشبهاً بالنبي صلى الله عليه وسلم في جوده بالخير في هذا الشهر الكريم وطلبا لجزيل ثواب الله في هذا الموسم العظيم فصلوا بأموالكم الأرحام وفطروا الصوم وأطعموا المساكين والأيتام وأحسنوا إلى مستحق الإحسان من أهل الإسلام تدخلوا الجنة بسلام.

أمة الإسلام: وزينوا صيامكم بتلاوة القرآن والثناء على الله سبحانه وسؤاله به فلن تتقربوا إلى الله بشيء أحب إليه وأعظم من كلامه وإنه حبل الله المتين ونوره المبين وصراطه المستقيم وهو الهدى والشفاء والموعظة والضياء فاتلوه حق تلاوته واتعظوا بمواعظه واعتبروا بقصصه وأمثاله وادعوا الله بدعواته فإن الله تعالى قد أثنى على الخُلَّص من عباده بكثرة التلاوة للقرآن وإقامة الصلاة والإنفاق على وجه الإحسان ووعدهم على ذلك عظيم الفلاح وجليل الأرباح فقال سبحانه {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} وكان جود نبيكم صلى الله عليه وسلم يتضاعف ويعظم في شهر رمضان حين يدارسه جبرائيل القرآن فتقربوا إلى ربكم تبارك وتعالى وتأسوا بنبيكم المصطفى بتحقيق هذه العبادات العظيمة

عشر ذي الحجة شرفها وما ينبغي فيها

الحمد لله على هداه، والشكر له سبحانه على سابغ نعماه، وأسأله سبحانه للجميع التوفيق لكل قول سديد وعمل صالح وخلق حسن، والعصمة من الشرور ومكائد الأعداء ومضلات الفتن.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فلا معبود بحق سواه.

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله ومصطفاه وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده في تبليغ رسالته وبيان هداه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم لقاه.

أما بعد: فيا أيها الناس: أوصيكم ونفسي بتقوى الله والسعي إلى كل ما فيه محبته ورضاه، والنأي عن كل ما يسخطه ويأباه فإن ذلكم برهان التقوى، وآية الاستمساك بالعروة الوثقى، وموجب السعادة والفلاح في الدنيا والأخرى.

عباد الله: إن من فضل الله عليكم لما قضى بقصر أعماركم، وتأخر زمانكم، أن أعاضكم بتعاقب مواسم العبادات والخير عليكم، وضاعف على العمل اليسير أجوركم وكثر في دينكم أسباب تكفير خطاياكم وحط أوزاركم، وموجبات رفعت درجاتكم وعلو مقامكم على الأمم ممن كان قبلكم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم {انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} {ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا}.

أيها المسلمون: إن من المواسم الشهيرة ذات الأجور الكبيرة على أعمال معتادة يسيره أيام عشر ذي الحجة، فإن فضلها معلوم باتفاق وهي أفضل أيام السنة على الإطلاق. تلك الأيام المعلومة التي أعلن الله تبارك وتعالى شرفها، ورفع ذكرها، وأعظم البركة والمثوبة للعاملين المحتسبين فيها فبادروا موسمها بكل عمل صالح، والنأي عن القبائح، والتوبة القريبة النصوح فإنها شأن كل عبد صالح، وتلكم – أمة الإسلام – عناوين وموجبات المتجر الرابح، والفلاح العاجل والآجل الذي لا يناله – غير أهل الإيمان والتقوى – من غاد أو رائح.

أيها المسلمون: سارعوا وسابقوا في هذه الأيام المباركة – التي هي غرة في جبين الزمان، ومتجر أهل الإيمان – إلى أمهات الطاعات من الصلاة والزكاة وأنواع الصدقات والصيام، والقيام، والإحسان والنصح لكافة أهل الإسلام: فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه العشر، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله يا رسول الله قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء».

عباد الله: إن أفضل ما تقربتم به إلى ربكم في هذه الايام أداء فرائض الإسلام ففي الحديث القدسي الصحيح أن الله تعالى قال: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه».

وقد دلت أحاديث صحيحة أخرى على أن الفرائض تكمل من جنسها من النوافل، فيكمل به نقصها ويغفر التقصير فيها، ويعظم أجرها، ويتم مبارك أثرها، فأحسنوا أداء الفرائض ثم واستكثروا من النوافل تروا من ربكم تبارك وتعالى ما تسر به النفس وتقر به العين قال تعالى {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

أيها المؤمنون: وأما صوم يوم عرفة لمن لم يقف بعرفة فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله فيه أحتسب على الله عز وجل أن يكفر السنة الماضية والباقية فصوموا هذا اليوم وما تيسر لكم قبله من ايام تلك العشر فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله «عليك بالصوم فإنه لا مثل له» وفي رواية قال «لا عدل له».

أيها المؤمنون: وأكثروا في تلكم العشر المباركة من الذكر والدعاء والجهر بالتكبير في سائر الآناء لقول نبيكم صلى الله عليه وسلم فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، ذلكم يا عباد الله لأن الجهر بالتكبير في تلكم الأيام من شعار الإسلام، وسنة أهله التي تميزهم عن غيرها من الأيام.

معشر المؤمنين: ومن جليل ما تتقربون به إلى ربكم تبارك وتعالى في هذه الأيام الحج والعمرة لبيت الله الحرام وأداء المناسك العظام فإن الحج والعمرة النسك العام لأهل الإسلام وتاج شرائع الإسلام، ومن الجهاد في سبيل الله ومن أعظم خصال محو الأوزار والعتق من النار وسعة الرزق وإغاظة الكفار فهنيئاً لأهل الإسلام قال تعالى {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ

فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥) وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ}.

وثبت عن نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وقال صلى الله عليه وسلم: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كهيئته يوم ولدته أمه» وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يباهي بأهل الموقف عشية عرفه ملائكته ويقول: ما أراد هؤلاء ويقول: انصرفوا مغفورا لكم، وما رؤي أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة «وكم في السنة الصحيحة من حديث فيه التنويه بشأن الحج والعمرة وبيان كرم جزاء الله تعالى لمن أتمهما خالصين لوجهه وجمع فيهما بين البر وترك الوزر فما أكرم العطايا وما أجل الهبات.

أمة الإسلام: وتاج هذا الأيام يوم النحر يوم الحج الأكبر للحجاج ويوم العيد والأضاحي لأهل الأمصار حيث يؤدي فيه الحجاج أعمال الحج الكبار رمي جمرة العقبة والنحر و الحلق أو التقصير والطواف بالبيت، ويؤدي فيه المسلمون في الأمصار صلاة العيد وذبح الضحايا فيشتركون في النسك والذكر وينفرد كل صنف فيما يخصه وما عمل آدمي يوم عملا أحب إلى الله من إراقة دم، فاستعظموا الهدى والأضاحي واستحسنوها واتقوا ما فيه نقص فاستشرفوا القرن والعين والأذن وطيبوا بها نفسا واعلموا أن أفضلها أغلاها عند أهلها وأكثرها ثمنا قال تعالى {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} وقال سبحانه {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}.

أمة الإسلام: اغتنموا مواسم الطاعات فاستبقوا الخيرات، وتنافسوا في جليل القربات، وبادروا بالتوبة من الخطيئات قبل الممات، فإن الفرص عارضة وإن النعم عارية، وإن باب التوبة مفتوح، وإن الله تعالى يحب التوبة النصوح، وإن الله تعالى قد ضمن السبق للمتسابقين وإن العمل لغير الله لا يدوم وإن الشيء بغير الله لا يكون فاتقوا الله، وكونوا مع الصادقين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ} الآيات إلى قوله:{ تُحْشَرُونَ}. بارك الله لي ولكم في القرآن.

هدايات الكتاب والسنة ومنهاج سلف الأمة إلى ما يصلح الأمة ويحفظ لها العزة والكرامة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فيا أيها الناس اتقوا الله وتدبروا كتابه والزموا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم واعقلوا خطابه فإن إتباعهما سبيل الصواب، ونهج أولي الألباب وموجب سعادة الدنيا والفلاح يوم القيامة بكريم الثواب ورضوان الله أكبر يا أولي الألباب وإن الإعراض عنهما، والانحراف عن هداهم عنوان هلكة وسبيل شقوة وموجب الخسارة واللعنة في الدنيا والآخرة قال تعالى {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} وقال سبحانه {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} إلى قوله {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}.

وقال سبحانه {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}.

عباد الله: لقد اشتمل الكتاب والسنة ونهج السلف الصالح من الأمة، بشأن صلاح الولاية العامة واجتماع الكلمة على جملة هدايات قبولها وتحقيقها من جليل الطاعات ونفيس القربات وأعظم سبب في توفير الأمن ووحدة الأمة، وهيبتها وعزها وكرامتها وعصمتها من التفرق والتمزق والفتن المدلهمة وهجرها أو رفضها ومعارضتها واستبدالها بأضدادها من أسباب خلل الأمن، وتعطل المصالح، وضيق المعايش وتولي الأشرار وإهانة الأخيار وتسلط الكفار ونحو ذلك مما نتاجه ضنك المعيشة وشقوة الدنيا والآخرة وصدق الله العظيم إذ يقول {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} وقوله سبحانه {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ}.

وقوله سبحانه {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ}.

معشر المسلمين: في طليعة تلك الهدايات الربانية التي اشتمل عليها الكتاب والسنة وعمل بها السلف الصالح من الأمة بشأن الولاية العامة ومصلحة اجتماع الأمة التحذير والحذر من الإصغاء

والإتباع لليهود والنصارى وأن غاية ما يهدفون إليه من تصدير ثقافتهم ومفاهيمهم وسياساتهم إلى المسلمين أن يردوهم بعد إيمانهم كافرين، وأن يذهب ما بأيديهم من خير ديني ودنيوي من رب العالمين قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} وقال تعالى {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ} وإذا كان غايتهم من تصدير ثقافتهم إلى المسلمين أن يرتدوا عن دينهم ويكفروا بربهم ويزول ما بأيديهم من خير ونعمة من ربهم فكيف تقبل سياساتهم وتطبق نظرياتهم ويستعان بهم على حل مشاكل المسلمين {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}.

معشر المسلمين: ومن هدايات الكتاب والسنة بشأن صلاح الولاية العامة، ومصلحة أمن الأمة أنه قد جاء الأمر والإلزام بالتمسك بدين الإسلام بأصول اعتقاده وكليات أحكامه وأمهات أخلاقه في العمل والتعامل في أمر الدين والدنيا والتحذير من الاختلاف فيه بتعطيل شيء من أموره أو استبداله بضده أو الاختلاف والتفرق فيه بمخالفة ما كان عليه سلف الأمة الذين هم خير أمة قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتقوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} فأمر سبحانه بلزوم الإسلام أي العمل بالكتاب والسنة بفهم وعمل السلف الصالح من الأمة والثبات عليه طول الحياة حتى الممات ونهى عن التفرق فيه حتى تحافظ الأمة على صدارتها وخيرتها وتأمن من انحرافها وعودتها إلى جاهليتها في تشرذمها وتناحرها وهوانها وذلتها وفقرها وقلتها وتمكين أعدائها منها قال تعالى {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} وقال سبحانه {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

أيها المؤمنون: لقد كان العرب قبل الإسلام ما بين دويلات محكومة من قبل الأمم المجاورة لها تخضع لسلطانها وتنفذ سياساتها وتدفع الجزية من خيراتها لسيدها فكان مملكة المناذرة في العراق تتبع لفارس ودولة الغساسنة في الشام تابعة للروم، وكانت اليمن تتبع للحبشة تارة ولفارس أخرى، وما سوى ذلك فقبائل متناحرة في غاية من التشرذم والفشل وتسلط القوي على الضعيف بدعم ومباركة ومتابعة من تلك الدويلات الضعيفة الخاضعة لسلطان تلك الدول الأجنبية الظالمة المتكبرة المتجبرة وها هو التاريخ يعيد نفسه فظهرت في بلاد الإسلام اليوم الخلافات الخطيرة التي سفك من

أجلها الدم الحرام وانتهكت بها أعظم حرمات الإسلام وصار كل خصم يستعين ويستدعي وينادي طالبا رحمة الكفرة بالتسلط على بني جلدته وأهل دينه وهل في النار من ري لعطش ظامئ.

أيها المؤمنون: ومن هدايات الكتاب والسنة لأهل الإسلام بشأن صلاح رئاسة الدولة وأمن المجتمع المسلم أنه جاء الأمر بالسمع والطاعة لولاة الأمور بالمعروف والنصيحة لهم في مختلف الظروف والاجتماع عليهم مهما كلف الثمن قال تعالى {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} وقال صلى الله عليه وسلم اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك وعلى أثرة عليك. وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ البيعة من أصحابه على السمع والطاعة للولاة بالمعروف في العسر واليسر والمنشط والمكره ومع الأثرة» وأن لا تنزع اليد من طاعة إلا أن يروا كفراً بواحاً عندهم من الله برهان» ومن الغريب أنهم اليوم ينزعون اليد من الطاعة مع أن تكفيرهم بالظن ثم يدخلون في تحكيم والخضوع لسلطان الكافر بيقين من اليهود والنصارى وأتباعهم.

معشر المؤمنين: ومن هداية الكتاب والسنة لأهل الإسلام بشأن صلاح رئاسة الدولة وتحقيق أمن وصلاح الأمة أن نهى الله عباده عن التفرق بعد الاجتماع وتحزيب العامة والرعاع قال تعالى {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} وقال سبحانه {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} وقال سبحانه {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} {وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ}.

أمة الإسلام: ومن هداية الكتاب والسنة لتحقيق صلاح رئاسة الدولة وأمن الأمة أن أرشدهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم على ما توجبه الشريعة أي على وفق القواعد الشرعية من الإسرار وترك الجهار وتقديم درء المفاسد على جلب المصالح ومراعاة أعلى المصلحتين وارتكاب أدنى المفسدتين عند التزاحم والتأكد من القدرة تجنبا للمفاسد الراجحة التي منها هزيمة الأمة وتسلط أعداء الملة، وما يترتب على ذلك من ذلة المسلمين، وذهاب الدين، وولاية الأراذل والأشرار الخائبين الذين يزيدون البلاء بلاءاً، والفتنة ظلمة وتمكنا حتى يذهب الدين والدنيا والآخرة، فاتقوا الله أمة الإسلام واعقلوا هدى كتاب ربكم تبارك وتعالى، وسنة نبيكم المصطفى صلى الله عليه وسلم ونهج سلفكم الصالح أئمة الهدى واعملوا به تنالوا كل خير وتنجوا من كل فتنة وشر ومن تسلط الكفرة وأهل الشر أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ

صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٦٨) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا}.

على التغيير للمنكر أو الإلزام بالمعروف بأدنى كلفه وأن لا يتعدى الضرر إن قدر إلى غيره من حرمته أو أبويه أو أحد من ذويه إلى غير ذلكم من القواعد المعتبرة التي دلت عليها نصوص وقواعد ومقاصد الشريعة المحفوظة المطهرة فاتقوا الله – أمة الإسلام – واسعوا في إصلاح أمتكم وولايتكم، على أسس من شريعتكم العظيمة، وسنة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم الحكيمة، ومنهاج سلفكم الصالح وما كانوا عليه من الطريقة المرضية القويمة، ولا يكن إصلاحكم وفق مناهج أهل الأهواء والبدع، ولا طرائق أهل الإلحاد ومنسوخ الشرع، ولا أمور الجاهلية وعباد الوثنية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على غير ما توجبه الشريعة وكالمنادات بالدستورية والتعددية الحزبية، والمظاهرات الغوغائية ونحو ذلك من الطرائق المحدثة أو الوسائل المستوردة قال تعالى {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتقوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} إلى قوله {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} وقال سبحانه {وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}.

بارك الله لي ولكم في القرآن ونفعنا بما فيه وما أنزل له من الهدى والبيان وعصمنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

معالم العبودية وبراهين التقوى

الحمد لله الولي الحميد، المبدئي المعيد، الغفور الودود.

أحمده سبحانه، وأشكر له فضله وإحسانه، وأسأله للجميع عفوه وغفرانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده أنجز وعده وصدق عبده، ونصر جنده، وهزم الأحزاب وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ومصطفاه وخليله، وأمينه على وحيه، وسفيره إلى عباده في تبليغ رسالته، وبيان هديه وشريعته.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين سبقوا إلى الإيمان، وجاهدوا في الله بالسنان والبيان، حتى لم تكن فتنة، وكان الدين كله لله الواحد الديان.

أما بعد: فيا أيها الناس اعبدوا الله واتقوه فإن العبادة هي الحكمة من خلقكم ورزقكم وهي وظيفة المكلفين منكم وحق رب العالمين عليكم قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} وقال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ألا وإن التقوى خير الزاد واللباس، وإن أهلها هم الأكرم عند الله من الناس وحسبكم قول الحق في محكم الخبر {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ}.

أيها الناس: إنكم لا بد ميتون، ولربكم ملاقون وإنكم لن تفارقوا الدنيا بما متعتم به من مال وبنين، ولا غيرهما مما أنتم به مولعون، فلن تفارقوها بشيء مما خولتم وأعطيتم، وإنما تفارقوها بصحبة ما كسبتم أو اكتسبتم فما كسبتم من عمل صالح حمدتموه، وما اكتسبتم من سوء عمل ساءكم وندمتم على أن اقترفتموه، فلازموا العبودية تربحوا وتفلحوا، ولا تلهوا بما خولتم عما له خلقتم فتخسروا وتشقوا قال تعالى {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.

عباد الله: لقد اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى خلق الموت والحياة يبلوكم أيكم أحسن عملا فقد اقتضت حكمته كذلك أن جعل سبحانه العبادة هي معيار الابتلاء وأية الاصطفاء وعنوان السعداء في الحياة الدنيا وهي كذلكم في الآخرة معيار الحساب، ووسيلة الثواب فعباد الله في الدنيا بما شرع وعلى الوجه الذي شرع البرءاء من الشرك المجانبون للبدع هم أولياء الله في الدنيا السعداء في

الأخرى، وأهل الكفر والإباء في الدنيا والمشركون والمتعبدون بالبدع والأهواء هم أعداء الله في الدنيا والأشقياء الأخسرون أعمالا في الأخرى فالابتلاء بالعبادة في هذه الدار يميز العباد من أهل الشرك والعناد فتكادون تعرفون أهل الجنة من أهل النار منكم فإن العبادة تميز السعداء من الأشقياء في هذه الدار قبل دار القرار قال تعالى {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} وقال تعالى {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ}وقال سبحانه {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}.

معشر المسلمين: فإذا تقرر أن العبودية هي حق الله على عباده أجمعين، فإن للعبادة الحقة معالم جلية وبراهين قطعية تميز عباد الرحمن من أهل الكفر والإباء والشرك والأهواء عباد الشيطان، فأول تلك المعالم والبراهين تصديق خبر الله ورسوله، أي الإيمان بشر عينها والاحتساب لمثوبتها، وخطر ترك ما وجب منها أو الاستخفاف بشأن أي من الواجب أو المستحب والاستعداد لأداء الواجب على قدر استطاعته وترك المنهي عنه خوف العقوبة والشناعة.

معشر المسلمين: وأما المعلم الثاني للعبودية والبرهان الحق في الانقياد والذل الاختياري لرب البرية فهو تحقيق الأمر بفعله امتثالا، وتحقيق النهي بترك والنأي عنه محبة لله تعالى وخوفا وتعظيما له وإجلال بحيث يحقق العبد المأمور ويترك المحظور رغبة ورهبة وإيمانا بالحكمة والمثوبة أو العقوبة تحقيقا لقوله تعالى { سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} وقوله تعالى {إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا} وقوله تعالى عن العبد الصالح {إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} وقول الأبرار {إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا} فإنه من أطاع الله تعالى بامتثال أمره اهتدى، وأفلح ونجا من الشر في الدنيا والأخرى ومن انتهى عما نهاه الله جل وعلا عنه نجا وأمن يوم اللقاء قال تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} وقال سبحانه {أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

أيها المسلمون: وأما المعلم الثالث للعبودية والبرهان الساطع الذي لا ينفك عنه العبد أبدا فهو أن يكون على الدوام توابا من خطيئته مستغفراً لذنبك ذلكم لأن كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون قال تعالى، فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله كان غفوراً رحيما.

وقال سبحانه {وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} وقال سبحانه {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}.

معشر المسلمين: وكذلكم من معالم العبودية وبراهين العابدين الذي هو ديدن المسلم فهوى تحري نافلة العمل الصالح والمبادرة إليها فإن الله تبارك من كمال جوده وكرمه أن جعل لكل فريضة نافلة من جنسها يتقرب بها العبد إلى الله بعد أداء الفريضة تحببا إلى الله عز وجل وتكميلا لنقص العمل، وطلبا لرفعة الدرجة واستزادة من الفضل، وفي التنزيل {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} وفيه {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ} وفيه {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنك لن تعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة وقال عليه الصلاة والسلام: «مخبرا عن ربه عز وجل أنه قال «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» وقال صلى الله عليه وسلم أربعون خصلة أدناها منيحة العنز ما من عامل يعمل بخصله منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة «فنوافل الطاعات سوق يتجر به أهل الصلاح فيفوزون بعظيم الأرباح».

معشر المؤمنين: ومن معالم العبودية وبراهين التقوى وحلى الصالحين المحافظين على صلاح القلوب، وعظيم الأرباح من علام الغيوب اتقاء الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات حتى إن أحدهم ليترك ما لا بأس به خشية مما به باس تأسيا بنبيهم صلى الله عليه وسلم فإنه لما وجد ثمرة ساقطة في بيته – وكان عادة ما تقسم فيه الصدقات – قال لولا أني أخشى أن تكون من تمر الصدقة لأكلتها ولأن من لم يتق ما لا بأس به في بعض الحالات وقع فيما به بأس، ولأن من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، فتحلوا عباد الله بهذه الحلية، واتركوا ما فيه شبهة ومرية تبلغوا غاية التقوى، وتستمسكوا حقا بالعروة الوثقى قال تعالى {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} وقال سبحانه {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الموعظة والذكر الحكيم أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

آثار الأعمال الصالحة على العاملين في الدنيا ويوم الدين.

الحمد لله الملك المحمود، الرب المعبود، الإله الحق والكون وما فيه على وحدانيته شهود.

أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه من كل ذنب واستغفره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فلا معبود بحق سواه، من توكل عليه كفاه ومن دعاه أجابه وأعطاه، ومن اعتصم به وقاه وحماه.

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وأعظم شفيع للخلائق بين يدي رب العالمين.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه خير الناس بعد المرسلين والنبيين، وأعظمهم بغضاً وجهاداً للكفار والمنافقين.

أيها الناس: إن الدنيا معروفة بسرعة تغيرها وتقلباتها، مشحونة بألوان من منغصاتها وشداتها، فما من رخاء إلا وهو محفوف ببلاء، وما من منحة إلا وفي طيها محنة، وكم من فرحة تلتها ترحة، فأعدوا لذلك العمل الصالح فإنه نعم الموجب للفلاح والمتجر الرابح، تمحى به الخطيئات وتعظم معه الأجور، وترفع به الدرجات وتتيسر معه الأمور، ونعم الذخر الذي يرفع الله به الشدات، ويسهل به العسير، ويغيث به اللهفات، ويدفع ويرفع به المصائب و شر ما تجري به المقادير، ويعطي عليه الأعطيات الجليلات قال تعالى {وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} وقال سبحانه {إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا}.

أيها المسلمون: إن الله تبارك وتعالى لما ذكر عبده ورسوله يونس عليه السلام وما وقع فيه من شدة عظيمة حين التقمه الحوت قال سبحانه {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ} وفي موضع آخر قال {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ}.

فنبه سبحانه على أمرين: الأول: أن نجائه من هذا الكرب كان بسبب طاعته وتسبيحه.

والثاني: أن هذا الإنجاء ليس خاصا به بل هو له ولمن كان مؤمنا عاملا للصالحات متعرفا على الله بذكره في الرخاء قبل الشدات.

معشر المسلمين: ولقد ذكر الله تبارك وتعالى أنموذجاً من أثر العمل الصالح في معرض ثنائه سبحانه وتعالى على آل زكريا وأنه جل وعلا وهبهما الولد المبارك والنبي الصالح بعد إياس بسبب ما كانوا

عليه من العمل الصالح فقال سبحانه {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}.

أيها المؤمنون: وفي الخبر الثابت في الصحيحين وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت عليهم صخرة فسدت باب الغار فقالوا: إنه لن ينجيكم من هذا الأمر إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم وكان أحدهم باراً بوالديه فدعى ربه تبارك وتعالى وتوسل بأخص حال من بره بوالديه أن ينجيهم مما هم فيه فانفرجت الصخرة شيئًا يسيرًا، وكان الآخر قد استعف عن الزنا.

معشر المؤمنين: خذوا من الطاعة وخالص العبادة في الرخاء عدة لشدة ونزول الكريه قال صلى الله عليه وسلم «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة أي عامل الله تعالى بالتقوى والطاعة في حال رخائك يعاملك سبحانه باللطف والإعانة عند كربك وشدة بلائك، وفي الترمذي والحاكم وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من سره أن يستجيب له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء»، وقال رجل لأبي الدرداء رضي الله عنه أوصني، فقال: اذكر الله في السراء يذكرك الله عز وجل في الضراء، وفي رواية قال: «دع الله في يوم».

أمة الإيمان: وكم في محكم التنزيل، وما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من صحيح القيل، ما يبين لأثر المبارك الإيمان والعمل الصالح في الرخاء، في دفع الشدائد والبلاء، والتثبيت عند القدر والقضاء، من نبأ الأمم السابقة، وإرشاداً للأمم اللاحقة، كيف لا وقد شرعت الصلاة والدعاء والصدقة والعتاقة عند الكسوف والاستسقاء وغيرهما من النوازل فأثر هذه الأعمال قبل انعقاد هذه الأمور من أعظم الصوارف والحوائل، ودفع ما في هذه النوازل من المخاطر والغوائل، فاعرفوا فضل ربكم عليكم وحكمته فيما شرع لكم من دينكم وحسن عواقب ذلك عليكم من عاجل أمركم وآجله فاعقلوا عن ربكم.

معشر المؤمنين: إن للإيمان والأعمال الصالحة ثمرات كثيرة وكبيرة مباركة عاجلة وآجلة منها النجاة من الهلكات وتفريج الكربات والشدات وإن أعظم شدة ستمرون بها – ولا بد – عند إدباركم عن دنياكم وإقبالكم على آخرتكم هي هول المطلع وشدة نزع الروح من الجسد قال صلى الله عليه وسلم «لا إله إلا الله إن للموت سكرات اللهم أعني على سكرات الموت» ولما رأت فاطمة

رضي الله عنها ما يعانيه النبي صلى الله عليه وسلم من كربات الموت قالت: واكرب أباه فقال صلى الله عليه وسلم ليس على أبيك كرب بعد الموت فلم ينفي صلى الله عليه وسلم كرب الموت، وإنما نفى الكرب بعده، فإذا كان صلى الله عليه وسلم وهو خير الخلق وحبيب الخلق قد عانى ما عانا من كربات الموت فكيف بكم عند الموت وأنتم لستم بالمنزلة التي للنبي صلى الله عليه وسلم عند ربه فاستدركوا الأمر قبل الفوت.

معشر المؤمنين: وخذوا من كريم الذكر والعمل الصالح ما يؤمنكم عند ضمت القبر الذي لا ينجو منه أحد، وروعة سؤال الملكين المنكر والنكير مما يكون سببا في فسح القبر والتثبيت عند السؤال بالجواب الحق فإنه نعم البشير ألا وإن العمل، يصاحب العامل في قبره فيؤنس التقي، ويوحش، ويروع الشقي، فأصلحوا أعمالكم مع تمكنه من فعله، والثالث قد رعى أمانته بحفظ حق أجيره، والاجتهاد في تنميته وتثميره فتوسل واحد منهم إلى الله تعالى في حال كربه وشدته بخاص من صالح عمله حال رخائه ونعمته، فانحدرت الصخرة عن الباب، وخرجوا يمشون شاكرين لربهم اللطف، وعاجل الثواب، مع ما ادخر الله لهم عنده من كرم المثوبة يوم الحساب.

معشر المؤمنين: وهكذا فإن الله تعالى لا يضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى، بل يطعم به في الدنيا ويدخر له كريم ثوابه في الأخرى، فإنه تعالى ينجي المتقين، ولا يضيع أجر المحسنين بل يجزي عليه بالإحسان، ويقي به من النيران، ويورث به علي الجنان، ويضاعف الثواب، ويوفي الأجور فيرزق من يشاء بغير حساب تحمدوها حالا ومألا، ولا تسيؤها فتشقوا بها دنيا وأخرى {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}.

ألا فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، واعملوا له صالحا يثبكم، وتوبوا إليه يقبل منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم.

التذكير بنعم متعددة وفي كل يوم متجددة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن استن بسنته إلى يوم الدين.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتقوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتقوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتقوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتقوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ومن غوى، فلن يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئا.

أيها الناس: كل يوم يبعثكم الله تبارك وتعالى فيه من نومكم قد رد إليكم أرواحكم بعد مفارقتها لأبدانكم فاستيقظتم، سليمي الحواس، متحركي الجوارح وفق إرادتكم، متمتعين بعقولكم وإرادتكم قد أذن الله لكم بذكره، ومكنكم من شكره، وهيأكم لطاعته وحسن عبادته، فهي صدقة من الله تبارك وتعالى عليكم إذ فسح لكم في الآجال، ومكنكم من الاستزادة من صالح الأعمال، والتوبة والاستغفار إليه من السيئات والزلل والإهمال فاشكروا الله تبارك وتعالى على إنعامه، وأذكروا له ألاءه وإكرامه فكم من نائم لا يستيقظ إلا يوم القيامة، وكم من مستيقظ وهو في حكم النائم قد دهي في منامه، وكم من مستيقظ صحيح ود أنه لم يستيقظ لسوء ما استيقظ عليه من حاله أو ماله، أو أمر قد دهاه في أهله وعياله فحيل بينه ومرامه.

عباد الله: ولهذه النعم المتجددة وسوء الأحوال التي يبتلى بها بعض الخلق – حال اليقظة – كان نبيكم صلى الله عليه وسلم كلما إذا استيقظ من منامه، قال: الحمد الله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله واستغفر الله يقول من كل ذلك عشرا ويقول أعوذ بالله من ضيق الدنيا، وسوء الحساب، ويقول: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور والحمد لله

الذي رد إلي روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره، اللهم أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك، رب زدني علما ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

أيها المسلمون: ولقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن بدن ابن آدم ركب على ثلاثمئة وستين سلامي «أي مفصل» يصبح على ابن آدم صدقة عن كل سلامى عافاه الله فيها، فيصبح على كل معافى ثلاثمائة وستون صدقة شكراً لله تعالى على عافيته وهذه الصدقات بحمد الله ميسرة غير شاقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تكبيرة صدقه وكل تهليلة صدقة والأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقه، والاستغفار صدقة وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، وعفة المرء فرجه عن الحرام صدقه أو إصلاح بين الناس صدقة فمن تصدق عدد الستين والثلاثمائة في يوم أمس وقد زحزح نفسه عن النار، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى فاشكروا الله – معاشر المسلمين – على حياتكم باليقظة بعد كل نومة، وأشكروه سبحانه على عافيتكم مع كل يقظة وقومة، فإن الشكر تتقرب به النعم، وتستدفع به النقم، ويستزاد به من الله ألوان الجود والكرم.

معشر المسلمين: وكما أن من أيقظه الله من نومه برد روحه إليه، وعافيته في بدنه وسلامة عقله وحواسه وجوارحه وإرادته وقوته في نعم من الله تبارك وتعالى عديدة، وفي حلل من العافية جديدة، فإن من أصبح معافى في بدنه، آمنا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها فكم من نعم الله تبارك وتعالى في كل اليوم عليكم فتجد، وكم من آلاء له سبحانه فيكم جلت أن تحصى جنسا فضلا أن تعد وصدق الله العظيم إذ يقول {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} ويقول {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}.

أيها المؤمنون: وانظروا إلى فنون ما لديكم من نعم الله من أنواع الحاجيات والمطاعم، والمقاهي، والخياطة، والمغاسل، والصيدليات، والتموينات، وأماكن الترفيه واللياقة فضلا عن المراكز الصحية، والمستشفيات، والمصحات والاستراحات، والمخيمات، والأسواق المركزية المحلية والدولية، ومحطات الطرق، والمتنزهات والمصايف، وغير ذلك من مظاهر الرفاهية وتوفر الكماليات فضلا عن الحاجيات، وكم يؤم هذه المراكز من البشر عدد ساعات الليل والنهار وكم تبذل فيها من أموال، وكم تتحقق فيها من فنون الرغبات والأماني حتى إذا لم يشأ المرء أن يسعى إليها ليحصل فإنه يطلبها من مظانها وتأتيه هي من الداخل والخارج فلو لم تكن موجودة لم يحصلها، ولو لم يكن عنده الثمن لم تأت إليه ويوصلها إليه أبناء الناس من جميع الأمم.

معشر المؤمنين: ومن جنس هذه النعم أو أعظم أن يعافى أحدكم من المرض العضال الذي لا دواء له، والدين الذي هو هم بالليل وذل بالنهار فمن ابتلي به فلا راحة له، وقهر الرجال الذي يفقد المبتلى به حريته وكرامته، وتسلط العدو الذي كل البلاء في الدين والدنيا معه.

معاشر العقلاء: ومع ما ترفلون فيه من أنواع النعم وحلل العافية فإن في ستر الله تعالى عليكم نعماء عظيمة فلا أحد يتقصدكم، حسداً على ملك، ولا طمعاً لشهرة كثرة مال، ولا يطلبكم لحق جنايةً أو شفاء ثأر.

أمة الإسلام: كل هذا الذي أعطاكموه مولاكم وصرف عنكم ما تحذرون مما لا يخفاكم فإنه تعالى بالجميع ابتلاكم هل تشكرون أم تكفرون ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم، كل ذلك لتعبدوا الله تعالى بما شرع مجانبين للشرك والإلحاد والبدع قال تعالى {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آَيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ} وقال سبحانه {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}.

أمة الإيمان: أذكروا فضل الله عليكم وإكرامه، وأشكروا له إحسانه وإنعامه ولا تكونوا كالذين ذمهم الله جل وعلا بقوله في محكم بيانه {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} وقوله {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}.

فإن أولئك نعموا وذكروا حتى قامت عليهم الحجة، ثم أخذوا أخذ عزيز ذي انتقام فانقطعت عنهم الحجة، فأشكروا الله تتقوا العقوبة وتنالوا المثوبة بارك الله لي ولكم في القرآن ونفعنا بما فيه من الذكرى والبيان واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحض على التعبد لله والتعامل مع خلقه وفق مقياس الشرع

الحمد لله الذي يهدي من استهداه، ويجيب من دعاه، ويضل من أعرض عن هداه، ومن توكل عليه كفاه، ومن اتقاه وقاه.

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فلا معبود بحق سواه.

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرا ونذيراً وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فبصر به من العمى وهدى من الضلالة، وأعز به من الذلة، وأغنى به من العيلة، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم يبعثون.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون أي استقيموا على الإسلام حتى تلقوا الله عليه فإنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه ألا وإن الله تعالى قد شرع لكم من الدين ما وصى نوحا، وما أوحاه إلى محمد وما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، فاستقيموا كما أمرتم، واتقوا الله تعالى حيث كنتم، وتوبوا إليه واستغفروه مما اقترفتم، ولا تغفلوا فإنه ليس بمغفول عنكم، ألا فلا تغتروا بالله فإن الله تعالى قد قال في محكم ما أنزله {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ }.

عباد الله: إن الدين أو الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي، ولا بالإرث، ولا العصبية ولا التقليد ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال فإنه من الدينونة أي الذل والاستسلام والانقياد لله على وفق الكتاب والسنة طوعا واختياراً عن تعظيم له تعالى ومحبة وإجلال له وهيبة، رجاءاً لثوابه، وخوفا من عقابه في سائر الأوقات والأحول وعند جميع المقاصد والأقوال والأعمال قال تعالى {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } وقال سبحانه {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}.

فانظروا – معشر المؤمنين في حقيقة دينكم – ولا تجعلوه تباعا لأهوائكم وعلى وفق رغباتكم.

أيها المسلمون: إن عبادة الله تعالى بفعل طاعته وترك معصيته طمعا في رحمته وحذرا من عقوبته تكون في المسجد بما شرع الله تعالى فيه، وتكون في المنزل، وفي العمل والتعامل مع الآخرين بأن تؤدى لله تعالى على ما يرضيه، والحذر من معصيته وما يؤذيه، والتوبة إليه من قربان حده أو تعديه،

فإن لله تعالى على عبده في كل مقام وحال عبادة يجب إخلاصها له وأداؤها على النحو الذي شرعه، وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم وسنه.

معشر المسلمين: إن الله تعالى قد فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وحد حدوداً فلا تقربوها فتعتدوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها بل عظموا الشرائع، وأدوا الفرائض وابتعدوا عن حمى المحرمات، ولا تقربوا الحدود ولا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم واتجروا مع ربكم بكثرة النوافل والورع عما لا ينفع في الآخرة تربحوا.

معشر المؤمنين: إن ما شرعه الله تعالى في المساجد من أنواع الطاعات، وما نهى عنه فيها من المنهيات ينبغي أن يكون هو معيار المسلم في عبادته لربه وتعامله مع خلقه سواء في علانيته وسره، وظهوره ومغيبه، واجتماعه وخلوته فيكون سلوكه ومنهاجه مع نفسه وغيره بميزان الشرع القويم وهدي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم تحقيقا للإيمان والتسليم ولا تكونوا ممن يعيش ويعمل طول حياته بتناقض وازدواجية فله في المسجد خلق وله في غيره خلق آخر مضاد له قد جعله تدينه في مكان أو زمان، وما سواهما فهو متبع لهواه، غير متقيد بشريعة القرآن، ولا بهدى النبي المصطفى الذي كان خلقه القرآن، قد اتخذ إلهه هواه وغفل عن مولاه، ونسي مفاجآت الأجل، ووشك انقطاع العمل، واقتراب الحساب، والجزاء الكريم أو ضده من الثواب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {اقترب لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ} الآيات بارك الله للجميع في القرآن، ونفعهم بما فيه من الهدى والبيان.

فضل الخلوة مع النفس وكريم ثمراتها

أما بعد: فيا أيها الناس: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى في السر والعلن، والأخذ بأسباب العصمة من مضلات الفتن، والإلحاح على الله تعالى بسؤال العافية والصبر على ما تجري به المقادير من البلايا والمحن فإن التقوى نجاة وفلاح، وإن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر وإنه ما أعطي أحد عطاءا خيراً وأوسع من العافية، وإن الدعاء والبلاء ليعتلجان بين السماء والأرض حتى يغلب الدعاء البلاء.

عباد الله: مما لا شك فيه أننا في زمان كثرت فيه الملهيات وتنوعت فيه أساليب دعاة الباطل بالشبهات، وتنوعت وسائل الإغراء بمحرم الشهوات حتى اختلطت على ضعفاء البصائر الأمور، وشغل الأكثر من الناس عن أداء واجب عليه لغيره، من عيادة مريض أوصله رحم، ومعاملة جار بما يليق به، بل إن من لهى عن رعيته، والقيام بالواجب نحو أهله، بل كم من لاهٍ عن حق ربه جل وعلا فتجده لا يذكر الله إلا هجراً، ولا يأتي الصلاة إلا دبرا، ولا ينفق إلا وهو كاره إلا فيما هويت نفسه ناهيكم بما ابتلينا به من عظائم الألسنة ومسودات ومقسيات القلوب التي تتراكم ساعة بعد ساعة، من غير جلاء من توبة نصوح واستغفار صادق، ودعاء من قلب خائف وجل بطلب العفو من هفوات النفس، واللطف بصرف العقوبة على الذنب، والدعاء بظهر الغيب لمن أسيء إليه.

فما أحوجنا – عباد الله – ونحن في خضم هذا المعترك الهائل إلى لحظات يتفكر فيها أحدنا من أجل أن يتدارك ماضيه بتوبة صادقة مما جنى ويغتنم حاضره بالاستقامة على الطاعة والهدى فيصحح مساره إلى مستقبله بالنية الصالحة والعزم الصادق على الدوام على طاعة المولى ويعتذر من تقصيره في حق خالقه وباريه، ومسبغ نعمه عليه، والذي هو كادح إليه كدحا فملاقيه، فمسؤول بين يديه {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} وما أحوجنا معشر المسلمين إلى لحظات تُستذكر فيها مظالمنا للخلق وهو سجل لا بد من وفاء ما به لأهله فلا يغفر الله تعالى منه شيئا للظالم حتى يغفر له المظلوم، وإلا فلا بد من القصاص ورد المظالم إلى أهلها، وقد ذهبت الدنيا وما فيها من الأموال والمتاع، فليس ثم إلا وفاء من الحسنات والسيئات، فإن كان للظالم حسنات أخذ من حسناته بقدر مظالمه، فيعطى كل مظلوم من حسنات الظالم على قدر مظلمته، فإن فنيت الحسنات قبل أن يقضى ما عليه، طلب المظلمون أن يخفف من سيئات فيحمل عليه، فيزاد من سيئاتهم على سيئاته ثم يطرح في النار حتى أن من الناس من يأتي يوم القيامة بحسنات كثيرة بيضاء أمثال جبال تهامة، وكان قد لطم هذا، وشتم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، فلا يزال يؤخذ من حسناته بسبب مظالمه الناس حتى تفنى حسناته، فإن

كفت وإلا حمل من سيئاتهم ما لا قبل له به، فيصبح الغني فقيراً والمجبور في الظاهر كسيرا، وما كان سهلا في الدنيا في الآخرة عسيرا، نعوذ بالله من خلل التقى وموجبات الشقاء.

أيها المسلمون: إن المسلم باعتياد الخلوة مع نفسه لحظات، ليتذكر نعم ربه السابغات، وتقصيره فيما لله تعالى عليه من الحقوق والواجبات ومحاسبة نفسه لردود حقوق الخلق قبل الإفضاء إلى دار الحق ليجني خيراً كثيرا منه الاجتهاد في شكر النعم والاعتراف بالعجز عن أداء حق شكر المنعم، مما يحمله على كثرة الاعتذار واللهج بصادق الاستغفار، والاجتهاد في الطاعة آخر العمر ليعوض ما فات، وليستبشر بما فتح الله له في آخر عمره من الطاعات فإنها إحدى كبار المبشرات.

معشر المسلمين: ومن خير الخلوة مع النفس بعض اللحظات أن يتدبر كلام ربه، ويزن مقاصده وكلامه وأفعاله وأحواله بميزانه، حتى يتجلى له بيقين هل هو ممن أثنى الله عليه أو ذمه، وهل في سبيل الجنة أو في مهوى يؤدي به إلى النار ليتدارك نفسه قبل الوصول إلى الغاية.

أيها المؤمنون: ومن فضائل الخلوة مع النفس بعض اللحظات، استدراك النعم والألطاف التي أحسن الله بها إليه، وصنيعه مقابلها هل هو فيما يرضى الله عنه أو يسخطه عليه وكذلك التدبر لمعاني أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وأثارهما في الأنفس والآفاق ليعتبر بلطف الله تعالى وحفظه للمؤمنين، وشدة أخذه وأليم عقوبته للعاصين والمتجبرين إلى غير ذلك مما هو من مظاهر عظمة الخالق ودلائل قدرته، وبراهين عدله وحكمته، وآيات لطفه ورحمته، فلعل الخالي مع نفسه أن يقلع عن معصية ويصدق في توبة أو تذرف من عينه مثل الذباب دمعه فيكون ممن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وممن يحرمه الله على النار يوم القرار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا}.

بارك الله لي ولكم في القرآن.

وجوب الاشتغال بصالح العمل وترك الغرور والأمل

الحمد لله الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون أحمده سبحانه على نعم كثيرة غزيرة منها ما تعلمون ومنها ما لا تعلمون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي يعلم ما تسرون وما تعلنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون.

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله المصطفى ورسوله المجتبى الذي كان كثيرا ما يخطب أصحابه وبعضهم يذكرهم بما يرقق القلوب ويحملها على الخشية من علام الغيوب، ويزهدها في الدنيا ويرغبها في الآخرة رجاء أن يفوزوا بأكرم مطلوب، ويتنجوا من أعظم مرهوب فتفوز برضوان الله تعالى ورحمته ذلك هو الفوز العظيم، وتنجو من غضب الله ومقته وما أعده لمن عصاه من العذاب الأليم.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يسارعون في الخيرات ويدعون ربهم رغبا ورهبا وكانوا له خاشعين.

أما بعد: فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بالتقوى، والاستمساك بالعروة الوثقى وأن لا نغتر في الحياة الدنيا، وأن نجعل همتنا فيما يسعدنا في الأخرى فإن ذلكم مما وعظتم به في التنزيل الكريم والذكر الحكيم قال تعالى {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتقوا اللَّهَ} وقال تعالى {وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} وقال { وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} وقال سبحانه {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} وقال جل ذكره {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.

عباد الله: لو تأملتم ما خولكم الله إياه في هذه الحياة، من والد وزوج وولد ومال ومسكن ومركب، ومصدر رزق ووسيلة كسب، لتجلى لكم أنها عوار مستردة، وأمانات تسألون عنها، بها إلى أجل، وابتليتم بها لينظر في العمل، فإما أن تنزعوا منها، وإما أن تنزع منكم، فلا تغتروا بما به متعتم، ولا تغفلوا عما له خلقتم ومن أجله رزقتم، فلا تلهوا بالنعم عن حق المنعم، ولا تحملنكم على الغرم والإثم بل استمتعوا بها على الوجه الذي أحله الله لكم إلى الأجل، واستعينوا بها على صالح العمل ولا تتخذوها سلما لمعصية الله عز وجل، بل استعملوها في الطاعة، واعبدوا الله بها منفردين وفي الجماعة واجتنبوا موجبات الإثم والغرم والشناعة.

أيها الناس: تذكروا وشك انقضاء المهلة، وسرعة النقلة، وارقبوا كل عامل بعمله، ألا ترون أنكم في كل يوم تشيعون غاديا إلى القبور أو رائحاً وتفاجأ بخطف المنون للقريب أو الجار أو العبيد مسيئا كان أو صالحا، فما تخطاكم إلى غيركم فهو في سبيل أن يتخطى غيركم إليكم، وما تجرعه من شيعتم فستتجرعون شئتم أم أبيتم ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرض تقيه ولا سماء معاشر العقلاء إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا الله مثنى فرادى ثم تتفكروا لتروا أن أعماركم كل يوم في انتقاص وأن قواكم كل آن في انتقاض، وأن آمالكم في الدنيا أماني كيف يركن إلى الدنيا من قد يلبس الثوب ثم لا يخلعه إلا مغسل الموتى، ومن يجاهد في تحصيل الأمنية من حلال أو حرام ثم قد يكون فيها حتفه أو شقوته، ومن يسافر إلى الحاجة ثم تتجلى الحقيقة أنه متوجه إلى موضع مصرعه وسبب منيته، ومن يمسي مع الأحياء فإذا أصبح الناس وإذا هو بين الموتى وسكان اللحود في عالم البرزخ، قد استل من بين الأحياء ووفد على الموتى، وانقطع عن العمل، وارتهن بما عمل وفي التنزيل الكريم من موعظة الرب الرحيم، {وَاتقوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} ومن قول الرسول العظيم «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» ومن دعاء معاذ رضي الله عنه قوله عند موته «أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار».

معاشر المؤمنين: عودوا المرضى لتشكروا نعمة الله عليكم بالعافية، وصلوا على الجنائز وشيعوها لتدركوا عظيم مصيبتها بالموت الذي نزع أرواحها من أجسادها، فاستل نفوسهم من بين أهليها وذويها وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل، وزوروا القبور فإن زيارتها لتزهدكم في الدنيا وتذكركم الآخرة فتزيل عن القلوب قسوتها وتعيد إليها رقتها.

معشر المؤمنين: كما تكفل الله بخلقكم فقد ضمن رزقكم، وكما أحياكم فسيميتكم ثم يسألكم عما لأجله خلقكم، فلا تشتغلوا بالخلق عن الخالق ولا بالرزق عن الرازق ولا بالدنيا عن الآخرة، بل الزموا التقوى والعمل الصالح، واجتنبوا – وتوبوا إلى الله مما اقترفتم – من القبائح، فإن ذلكم هو المتجر الرابح {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}.